أصولُ التكاملِ الإنساني
في القرآن الكريمِ والصحيفةِ السّجاديّةِ

عبد الله پاته با
جامعة المصطفى العالمية

The origins of human integration in the Holy Qur'an and the Sajjad newspaper

Abdullah Patah Ba
Al-Mustafa International University
Email: gandobalo@gmail.com

ملخص البحث

يتناول هذا البحث مسألة من أهم وأقدم المسائل القرآنية ، والفلسفيّة والعرفانية التي ذكرت في كثير من المنظومات والمباحث الفلسفية التي شغلت أذهان الفلاسفة والعلماء، ألا وهي مسألة الحقيقة الإنسانية وما يرتبط بها من مسائل من قبيل: أصل وجودها، علاقتها بمفيض الوجود، مكانتها الوجودية و حركتها التكاملية نحو مقصدها الأبدي وجوديًّا ومعرفيًّا. وقد جادت قرائح العلماء فلاسفة وغيرهم بمقاربات متعددة حول مسألة التكامل الإنساني وأصوله ومبانيه، إلّا أنّ تلك المقاربات لا ترقى إلى ما وصلَنا من المعصومين: بشأن هذه المسألة. وهذا ما يجعل هذا البحث يكتسب أهمية وضرورة بالغة حيث يتم تسلّيط الضوء على ما جاء في القرآن الكريم ، وفي الصحيفة السجادية المباركة حول بيان مسألة التكامل الإنساني ومبادئه.

فالإنسان كائن حي فاعل مختار، مفطور بالعقل ومحبّ لذاته وباحث عن الكمال الحقيقي وعلى هذا فلابدّ له في البداية معرفة و تحديد الكمال الواقعي ثم التحرك إليه؛ لأنّ هدف الله تعالى لخلق الإنسان في هذا العالم هو العبادة له تعالى، ليصل إلى مقام خليفة الله في الأرض بواسطة العبودية ؛ ولذا وفّر له الأرضية اللازمة لتكامله اختيارًا، وقد وهبه الله المولى أيضًا سبيل التقرب ، و بيّن له مسار التكامل إليه تعالى ولهذا السَّبب يجب على كل إنسان معرفة أصول تكامله؛ لأن سعادة الإنسان أيّا كان هي السير نحو التكامل المعنوي، فما لم يعرف الإنسان أصول و مبادئ تكامله فلا يمكن له أنْ يصل إلى الكمال الحقيقي المطلوب.

والمهمُّ في هذا البحث هو بيان وذكر أهمّ أنواع التكامل الإنساني من منظار القرآن الكريم والصحيفة السجادية ، وذكر معيار الكمال والنقص لهذا الموجود العاقل ، وشرح معنى التكامل التكويني والتكامل التشريعي ، وذكر الأصول و المبادئ للتكامل الفردي، وعرض أفضل أنواع الأصول والمبادئ للتكامل الإجتماعي للإنسان، و بيان أهم الأسباب و العوامل للتكامل المعنوي ، ثم بعد ذكر الموانع والحواجز للتكامل الروحي، يأتي دور ذكر

وتحليل بعض أنواع الفوائد للتكامل المعنوي للإنسان حيث يتمّ تقسيمها إلى فوائد فردية وفوائد اجتماعية للتكامل الإنساني.

كلمات مفتاحية : الإنسان، الأصول، المبادئ، التكامل، القرآن الكريم، الصحيفة السجادية، المعنوي، الروحي.

Abstract

This research deals with one of the most important and oldest Qur'anic, philosophical and mystical issues that were mentioned in many philosophical systems and investigations that occupied the minds of philosophers and scholars, which is the issue of human truth and related issues such as: the origin of its existence, its relationship to the emitter of existence, its existential status and its movement of integration towards its eternal, existential and epistemological purpose. Ancient scholars, philosophers and others have taken various approaches to the issue of human integration and its origins and premises, but these approaches do not amount to what we have reached from the infallibles: on this issue. This is what makes this research acquire great importance and necessity, as it sheds light on what was mentioned in the Holy Qur'an and in the blessed Sajjadiya newspaper regarding the statement of the issue of human integration and its principles.

The human being is a living, active, chosen being, rooted in reason, loving himself, and searching for true perfection. Accordingly, he must first know and define real perfection and then move towards it, because the goal of God Almighty to create man in this world is to worship him, the Almighty, to reach the position of God's representative on earth by slavery to God. For this reason, he provided the necessary ground for his voluntary integration, and God the Lord also gave him the way to draw closer and explained to him the path of integration to the Almighty. For this reason, every human must know the origins of his integration because the happiness of a human whatever it is, is the path towards spiritual integration. So what is not known by Man, is the origins and principles of his integrity, which cannot be possible for him to reach the required true perfection.

And what is important in this research is to clarify and mention the most important types of human integration from the perspective of the Noble Qur'an and the Al-Sajjad Journal/Paper and mention the criterion of perfection and imperfection for this rational being. He explained the meaning of formative and legislative integration, mentioned the assets and principles of individual integration, presented the best types of assets and principles for human social

integration, and stated the most important causes and factors for spiritual integration. Then, after mentioning the obstacles and barriers to spiritual integration, comes the role of mentioning and analyzing some types of benefits for human spiritual integration, as they are divided into individual benefits and social benefits for human integration.

Key words : Human, Assets, Principles, Integration, Holy Quran, Saheefah Sajadiya, Moral, Spiritual.

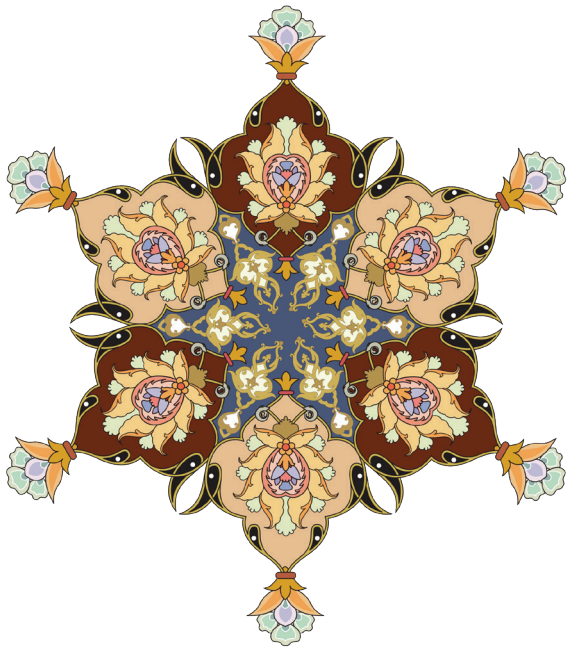

المقدمة

على حسب المعلومات المتوافرة لدينا ، لا توجد مقالة خاصة تهتم بدراسةٍ متعلقةٍ بالإنسان وأصول تكامله من منظار القرآن الكريم والصحيفة السجادية ، ولكن مع ذلك لا تخلو كتب التفسير والفلسفة و الكلام من بسط البحث حول التكامل الإنساني ؛ لأنّ ذلك يشكّل بنية أساسية التي تقوم عليها عقائد الإنسان المسلم، ولكونها مذكورة في كثير من آيات الذكر الحكيم وكذلك في أحاديث المعصومين؛ فعلى سبيل المثال لا حظوا هذه الآية المباركة التي تقول: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾[1] ، وعليه فلا يخلو واحد من هذه البحوث والدراسات القرآنية والكلامية ، والفلسفية والعرفانية من بحث و بيان الضابطة في تشخيص التكامل المعنوي للإنسان.

ولمّا كان القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة المصدران الأساسيان لكل فكرة إسلامية أصيلة، اعتاد المفكرون الإسلاميّون على جعلهما منطلقا لتفكير هم في القضايا الإسلامية ، والصحيفة السجادية كتاب يضم مجموعة كبيرة من الأدعية المنسوبة إلى الإمام الرابع من أئمة أهل بيت النبوة: و هو الإمام علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب الملقّب بالسّجاد و زين العابدين عليه السلام ، و حياة الإمام علي بن الحسين عليه السلام ، وسيرته الطاهرة مليئة بمكارم الأخلاق، وقد خرج عليه السلام مع أبيه الإمام الحسين عليه السلام ، وأهل بيته من المدينة المنورة إلى كربلاء المقدسة ، ولحكمة إلهية بقى حيًّا في واقعة كربلاء المؤلمة التي حلت بأبيه وبأصحابه، وبعد استشهاد أبيه عليه السلام مباشرة، جاء دوره عليه السلام لقيادة الأمة الإسلامية في عصره ، و قاد الإمام السجاد عليه السلام الأمة بعد حوادث الطفّ مباشرة ، وبذل جهدًا كبيرًا لإصلاح الأمة وهدايتهم نحو التكامل المعنوي ، و كان أكثر المسلمين في عصره عليه السلام قد انحرفوا عن الصراط المستقيم ومالوا إلى الدنيا، إلى أنْ استولت عليهم جميع أنواع مظاهر الفساد الأخلاقي والإجتماعي

(١)سورة الشمس ، الآيات : ٧ – ١٠.

والسياسي ، ففي مثل هذه الظروف المملوءة من الفساد قام الإمام﵇بثورة روحية، وثقافية بين المسلمين بعنصر الدعاء حيث طرح لهم المعتقدات الإسلامية الحقة في كتابيه الصحيفة السجاديّة ورسالة الحقوق، ممّا دفع الكثير من الناس إلى عبادة الله تعالى والتوجه إليه. وقد اتبع الإمام ﵇طريق الدعاء لإصلاح الأمة الإسلامية، ومن الممكن القول بأنّ الهدف الأساسي من الأدعية قد ينحصر في خصوص الناحية العبادية، ولكنّ الإعتبار والتدقيق في العبارات التي وردت في الصحيفة السجادية، يرشدنا إلى مفاهيم تشمل جميع حياة الإنسان،فهي كتاب يشمتل على أربعة وخمسين دعاء وخمس عشرة مناجاة كلها من الإمام علي بن الحسين﵇.

لقد تناولت الصحيفة السجادية المعارف الإسلامية، و وضّحت لنا مختلف الجوانب العلمية والعملية لتكامل الإنسان في هذه الحياة، وبيَّنت أيضًا كيفية سلوك الإنسان مع ربّه و مع نفسه و مع الآخرين ، فهي تشتمل على بيان أصول الدين، و الأخلاق، وعلم الاجتماع، والسياسة، والإقتصاد، وعلم النفس، وأهم المسائل الفكرية والثقافية، وما يوجب سعادة الإنسان في كافة أبعاد الحياة ، وأدعيتها توصل الإنسان إلى معرفة ربّه، ومعرفة الكون الذي يقيم فيه، ومعرفة الإنسان بنفسه، وعالم الغيب، وأنواع أعمال الملائكة وعبادتهم، ورسالات الأنبياء، وتعلمه أيضا مكانة أهل البيت:، والإمامة الحقة، والفضائل الأخلاقية المطلوبة، و الأمور الإجتماعية والإقتصادية الإسلامية، و نِعم الله تعالى على الإنسان، وآداب الدعاء، و تلاوة كتاب الله، و الصلاة الصحيحة على رسول الله وآله، وغيرها من المعارف الدينية، فالإمام﵇في صحيفته المباركة يعلمنا كثيرا من المعارف منها: معارف أخلاقية، ومعارف اجتماعية، ومعارف حقوقية وكيف ينبغي أنْ يكون علاقة الإنسان بربه وما إلى ذلك،

وهوية الإنسان تتكـوّن من بُعدين أساسيين وهما: البعد المادي والبعد الروحي، وكلٌ منهما جوهرٌ مستقلٌ وإن اتّحدا بالفعل، و النفس غير الجسم و الإنسان كائن بين شيئين و هو إمّا إلى ارتفاع ، أو إلى انخفاض وهما تابعان لأفعاله الإختيارية، والإنسان خلق مفطورا على حبّ الكمال ، وهو يسعى دائما لا كتسابه وأئمة أهل البيت:هم المصداق الأول والأكمل

للقيادة إلى الكمال.

أوّلاً: مباحث تمهيدية لبيان المراد من التكامل الإنساني :

قبل الدخول في صلب البحث لابدّ من السير على ما جرت عليه سيرة الحكماء من الابتداء ببيان بعض المصطلحات المرتبطة به كمقدمة ضرورية للولوفيه ؛ ليتمكّن القارئ الكريم من معرفة المراد من المفردات المذكورة في البحث .

١ – ماذا يعني الإنسان ؟

إنّه قد صَنّف الكثيرُ من الناس الكتبَ حول الإنسان وذلك لتعريف هذا المصطلح أو المفهوم ، و من الواضح لدى الكل أنّ الإنسانيّة هي ما يُميِّز الإنسان عن بقيّة أنواع الموجودات الحيّة التي نشاهدها في عالمنا هذا، بمعنى إنّ تعريف الإنسانيّة يتطلب ذكر حقيقة الإنسان من الجنس والفصل وهو ما يُضادّ البهيميّة و يتميَّز به المرء من غيره.

وأمّا من الناحية اللغوية :

فالإنسان أصله اللغوي إنسيان، وأصل الكلمة عند العرب القدامى تَأخذ معنيين: الاول: إنسيان على وزن إفعِلان وتعني النسيان. والمعنى الثاني: ينطبق من الأنس أي الألفة ويكون على وزن فعليان،[١] وقيل أيضًا الإنسان: الكائن الحيّ المفكر. جمعه أناسي، أصله أناسين،[٢] وقال البعض: الإنسان شيء في القلب، والجوارح مُسخرة لهُ تُقدِم بإقدامه وتُمسك بإمساكه.[٣]

الإنسان اصطلاحا

وأمّا تعريف الإنسان اصطلاحا : فقد ذكرت عدة تعريفات ناشئة من اختلاف الناس في طريقة تفكيرهم للوصول إلى حقائق الأشياء ،ومع ذلك يصعب حصرها عددًا إلّا أنّها تكاد تتفق على أنّ جوهر الإنسان ليس أمرًا ماديًّا ومنها أنّ:

(١)لسان العرب ، بن منظور، محمد بن مكرم، ٦/ ١١ .
(٢)معجم الوسيط ، مصطفى، إبراهيم ، / ١/ ٣٠ .
(٣)معجم المصطلحات الكلامية ،فاعة، إبراهيم، ١ / ١٤٤ .

الإنسان عبارة عن جوهر مجرد عن الحجمية والمقدار [١] ، وعرّف أيضًا هكذا الإنسان هو الروح، وهو جسم لطيف مُداخل لهذا الجسد الكثيف[٢] ، وقال آخرون: ليس الإنسان عبارة عن هذه البنية، بل هو موجود ليس بجسم ، ولا جسمانيّ ولا تعلّق له بهذا البدن إلّا على سبيل التدبير أو التصرف. [٣]

٢ – ما معنى التكامل ؟

التكامل لغة :

وحينما يسأل عن معنى تكامل الإنسان، يقال أولًا إنّ تكامل كل مخلوق هو أنْ يحقق وجوده بأقصى ما يمكن له، وأنْ يحقق الإنسان لنفسه سبب الخلود في النعيم الدنيوي والأخروي، فهذا هو تكامله ؛ لأنّ كل سلوك يخدم هذا الهدف فهو يقع في طريق التكامل، فهكذا أيضًا كل سلوك يضر به يقع في طريق التسافل، وإنْ ظهر جميلًا عند البعض .وعلى كل حالٍ لكلمة التكامل تعريفات كثيرة ومختلفة عند العلماء، وكل منهم عرفها حسب ذوقه. و معناها اللغوي باللغة الفرنسية هو intégration ، وتعني باللغة الإنجليزية integration، وفي اللاتينية integratio.[٤]

تكامل الشيء : كمَل شيئا فشيئًا التكامل في عرف الإقتصاد هو الجمع بين صناعاتٍ مختلفةٍ يكمّل بعضها بعضًا، وتتعاون في الوصول إلى غرض واحدٍ.[٥]

التكامل اصطلاحًا :

إنّ لتعريف كلمة التكامل في الإصطلاح معانٍ عديدة ذكرها العلماء في الكتب، ولايسع المجال لذكرها جميعًا هنا ولكن يمكن ذكر الأهم منها وهي كما يلي:

للتكامل عند سبنسر ثلاثة معان، : الأول هو: الإنتقال من حالة مبددة، لا يمكن

(١) معجم المصطلحات الكلامية ، رفاعة ، إبراهيم ،١/ ١٤٥.
(٢) م ، ن ج/ ١، ص/ ١٤٣.
(٣) المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية و الفرنسية و الإنكليزية و اللاتينية ، جميل صليبا، ١/ ١٤٥.
(٤) م ، ن – ١/ ٣٣٢.
(٥) معجم الوسيط، مصطفى إبراهيم، ٢/ ٧٩٨.

إدراكها، إلى حالة مركزة ممكنة الإدراك، أي من حالة غامضة و مشتّتة إلى حالة واضحة و مؤتلفة ، و المعنى الثاني هو: ازدياد كمية المادة في منظومة معينة ، والثالث يعني: تناقص الحركة الداخلية في منظومة ميكانيكية مؤلفة من عدة أجسام ، و ضدّ التكامل الإنحلال و التفكك.[1]

معارف الصحيفة السجادية :

وإنّ من الممكن القول بأنّ الهدف الأساسي من أدعية الإمام علي بن الحسين عليه السلام الواردة في الصحيفة السجادية المباركة المسماة أيضاً بزبور آل محمد قد تحدد في خصوص الناحية العبادية، ولكن التدقيق في العبارات الواردة فيها يرشدنا إلى المعارف التي تشمل جميع حياة الإنسان ، فالإمام عليه السلام في صحيفته المباركة هذه يعلمنا معارف كثيرة منها : معارف أخلاقية، ومعارف اجتماعية، ومعارف حقوقية، ويعلمنا أيضاً كيف ينبغي أنْ يكون علاقة الإنسان بربه ، وهي كتاب يشمتل على أربعة وخمسين دعاء وخمس عشرة مناجاة للإمام علي بن الحسين عليه السلام ؛ ولهذا الكتاب قيمة عظيمة ومنزلة خاصة عند الشيعة الإمامية الإثني عشرية بعد كتاب الله عزّ وجلَّ، وبعد كتاب نهج البلاغة لجده أمير المؤمنين عليه السلام ، والمعارف الإسلامية التي تناولتها الصحيفة السجادية وضّحت جوانب عديدة ومختلفة علمية وعملية لتكامل الإنسان في هذه الحياة، وبيَّنت أيضًا كيفية سلوك الإنسان مع ربّه ومع نفسه ومع الآخرين، فهي تشتمل على بيان أصول الدين، والأخلاق، وعلم الإجتماع، والسياسة، والإقتصاد، وعلم النفس، وأهم المسائل الفكرية والثقافية، وما يوجب سعادة الإنسان في كافة أبعاد الحياة.

وأدعية الصحيفة السجادية توصل الإنسان إلى معرفة ربه، ومعرفة الكون الذي يقيم فيه، ومعرفة الإنسان بنفسه، وعالم الغيب، وأنواع أعمال الملائكة وعبادتهم، ورسالات الأنبياء، و تعلمه أيضا مكانة أهل البيت:، والإمامة الحقة، والفضائل الأخلاقية المطلوبة، والأمور الإجتماعية والإقتصادية الإسلامية، ونِعَم الله تعالى على الإنسان، وآداب الدعاء،

(١) المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية و الفرنسية و الإنكليزية و اللاتينية ، جميل صليبا، ١ / ٣٣٢.

وتلاوة كتاب الله، و الصلاة الصحيحة على رسول الله وآله :، وغيرها من المعارف الدينية.

الأبعاد الوجودية للإنسان :

الإنسانية نموذج من الكمال الإنساني، وهي تشكل نظامًا أخلاقيا، ونظامًا جماليًا، ونظامًا اجتماعيًّا، والإنسان كائن متميزٌ عن سائر الكائنات من حيث خلقه وتكوينه و منزلته في الكون ، ومن حيث مهمته الوجودية ، وهويته تتكوّن من بُعدين وهما: البعد المادي و البعد الروحي و أحدهما غير الآخر ، وكلٌ منهما جوهرٌ مستقلٌ عن الآخر وإنْ اتحدا بالفعل،

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ .(١)

وأمّا البعد المادي فهو البدن العنصري المركب من مجموعة من العناصر الأولية، و يتكون من أعضاء داخلية مثل القلب و الدماغ و الكبد، و أعضاء خارجية كالرأس و الأطراف والحواس الخمس ، و هذا البعد يرتبط أيضًا بطبيعة الجسد الماديّة كالطول، و العرض، و الوزن، و لون البشرة، و الجمال، و القبح، والجنس وما إلى ذلك ، وأمّا هذا البدن فهو زائل وفانٍ فلم يكن إلّا آلة لاستكمال الروح.

وأمّا البعد الروحي، أو النفسي فهو غير الجسم ، وهو مجرد و خُلِق للبقاء لا لِلفناء، و الروح أو النفس الناطقة للإنسان تحيا في جسد الإنسان وتديره ليسعى نحو التكامل الذي هو معرفة الله تعالى ؛ لأنّ الله خلقه ليعرفه ويعبده ليصل إلى الكمال الذي هو القرب الإلهي.

(١) سورة المؤمنون ، الآيات : ١٢ - ١٤.

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: (إلهي ... تَحْمدُك نَفسِي و لِسَانِي وعَقْلي حَمدًا يَبْلُغ الوَفَاءَ وحَقِيقَةَ الشكر)[1] والإنسان كائن بين شيئين وهو إمّا إلى ارتفاع ، أو إلى انخفاض وهما تابعان لأفعاله الإختيارية، و لكن الإنسان مهمل و غافل و تارك روحه و نفسه الباقية، حيث لا يستأثر إلّا باهتمام ضعيف و بسيط ؛ لأنّها غالبًا ما تنحو نحو الاتجاه المادي، وتتجاهل العمق الروحي المعنوي ، و على أي حال فالإنسان خلق مفطورا على حبّ الكمال وهو يسعى دائما لا كتسابه كلٌّ على حسب معرفته، وأئمة أهل البيت عليهم السلام:هم المصداق الأول والأكمل للقيادة إلى الكمال الحقيقي ؛ ولكل واحدٍ من هذين البعدين (البعد الجسدي و البعد الروحي) تكاملٌ خاص به ، وطرق تكامله تختلف بعضها عن بعض فلذلك عندنا نوعان من التكامل وهما:

١- التكامل التكويني الوجودي وهو خاص بالجسد المادي، والمراد به هو ذلك التكامل الذي يرتبط بالوجود المادي الخارجي بإبقاء القوانين الإلهية الحاكمة عليه، مثلا الإنسان تتكامل خلقته بمرور مراحل عديدة كإنتقاله من سلالة الطين إلى وجود النطفة ، ثم الإنتقال إلى العلقة، وبعد ذلك يكون مضغة ثم يكون عظامًا و إلى غير ذلك ، وهذا هو السير الطبيعي والتكامل التكويني الذي هو رمز للتكمال الجسدي المادي.

٢- والتكامل الأخلاقي والديني : والمراد به هو التكامل الذي يحصل به النفس و الروح، و يتحقق في طاعة الله عز وجل و طاعة نبيه و أهل بيته المعصومين: والسير بسيرتهم، و هذا التكامل يكون في جوهر الإنسان ، ويتضمنه ويحتويه باطنه بمعنى أنّه يتكامل في عقله وفي سلوكه ، و يتكامل أيضًا في الصفات التربوية والخصائص النفسية و ما إلى ذلك.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾.[2]

(١) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه ٧في التضرع و الإستكانة،٢٨٦.
(٢) سورة التين ، الآيات : ٤ – ٦.

ثانياً مبادئ التكامل الإنساني :

إنّ تكامل الإنسان المسلم يتحقق أحيانًا منفردًا وأحيانًا أخرى اجتماعيًا ، و الحياة التي يعيش فيها هي حياة مهيئة للتكامل المعنوي، وأفعال المرء تجعله أحيانا يرتقي إلى درجات من التكامل ، كما تجعله البعض الآخر يتسفل إلى أسفل سافلين في دركات الجحيم. إذن فهو في هذه الحياة الدنيا إمّا في ارتقاء ، أو في تسفّل سواء كان وحيدا أو مع الجماعة. قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [1] ، وأمّا الأصول والمبادئ للتكامل الإنساني فهي تنقسم إلى قسمين أساسيين وهما : أصول ومبادئ التكامل الفردي، وأصول ومبادئ التكامل الإجتماعي.

أ – التكامل الفردي :

إنّ الأصول والمبادئ للتكامل الفردي هي الأصول التي تخص كل فرد من أفراد الناس للوصول إلى الكمال الحقيقي، وهي عديدة ومنها:

١ – المعرفة :

إنّ معرفة الباري تعالى هي أهمّ أصلٍ ومبدأ للتكامل الإنساني ، قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفة الله توحيده [2] ، والشئ الذي يوجب الخشية و الحياء من الله جلّ وعلا هو معرفة الله الحقيقية، وهي تسبِّب المحبة الخالصة له المؤدية إلى حقيقة العبادة لله تعالى وهي الهدف من خلق الإنسان ، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾.[3]

إنّ المعرفة الصحيحة والعبادة الخالصة هما من أهم وأفضل ما يقرب الإنسان و يوصوله إلى ربّه عزّ وجلّ ، قال الإمام زين العابدين: عليه السلام وَاعْمُرْ لَيْلِي بِإِيقَاظِي فِيهِ لِعِبَادَتِكَ، وَتَفَرُّدِي

(١) سورة الشمس ، الآيات : ٧ – ١٠.
(٢) عيون أخبار الرضا، شيخ صدوق، ١/ ١٥٠.
(٣) سورة الذاريات ، الآيات : ٥٦ – ٥٨.

بِالتَّهَجُّدِ لَكَ، وَتَجَرُّدِي بِسُكُونِي إِلَيْكَ، وَإِنْزَالِ حَوَائِجِي بِكَ، وَمُنَازَلَتِي إِيَّاكَ فِي فَكَاكِ رَقَبَتِي مِنْ نَارِكَ، وَإِجَارَتِي مِمَّا فِيهِ أَهْلُهَا مِنْ عَذَابِكَ .[1]

ولكن المراد بمعرفة الله هو العلم والطريق إلى معرفة واجب الوجود بالذات عبر الأسماء والصفات ، وليست المعرفة معرفة ذات الواجب تعالى لأن ذلك غير ممكن ، قال سيد الساجدين عليه السلام:(اِلـهي قَصُرَتِ الأَلْسُنُ عَنْ بُلُوغِ ثَنائِكَ كَما يَليقُ بِجَلالِكَ، وَعَجَزَتِ الْعُقُولُ عَنْ اِدْراكِ كُنْهِ جَمالِكَ، وَانْحَسَرَتِ الأَبْصارُ دُونَ النَّظَرِ اِلى سُبُحاتِ وَجْهِكَ، وَلَمْ تَجْعَلْ لِلْخَلْقِ طَريقاً اِلى مَعْرِفَتِكَ اِلاّ بِالْعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَتِكَ).[2]

٢- الدعاء :

و هو أيضًا من مبادئ التكامل الإنساني وهو حقيقة العبادة و جوهرها ، وسلاح الأنبياء ومخُّ العبادة بل هو العبادة وأفضلها فالله تعالى يقول في محكم كتابه : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[3] ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الدعاء مخُّ العبادة، ولا يهلك مع الدعاء أحدٌ.[4] ، وقال تعالى: ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ .[5]

والدعاء حاجة طبيعية عند الإنسان، والمؤمن يطلب التحبب والتقرب إلى خالقه تعالى بالدعاء والمناجاة و التحدث إليه ؛ ليطلب رضا ربه ورحمته و هو يتلذذ دائمًا بالقرب الإلهي كما كان يفعل الإمام السجاد، قال الإمام عليه السلام:(يا مَنْ اِذا سَأَلَهُ عَبْدٌ اَعْطاهُ، وَاِذا اَمَّلَ ما عِنْدَهُ بَلَّغَهُ مُناهُ، وَاِذا اَقْبَلَ عَلَيْهِ قَرَّبَهُ وَاَدْناهُ، وَاِذا جاهَرَهُ بِالْعِصْيانِ سَتَرَ عَلى ذَنْبِهِ وَغَطّاهُ، وَاِذا تَوَكَّلَ عَلَيْهِ اَحْسَبَهُ وَكَفاهُ...)[6] ، وقال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:(ترك الدعاء معصيةٌ).[7]

(١) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه ٧في يوم عرفة،٢٦٢.
(٢) الصحيفة السجادية الكاملة، مناجاة العارفين،٣٦٢.
(٣) سورة غافر ، الآية : ٦٠.
(٤) بحار الأنوار ، مجلسي ، محمد باقر ، ٩٠ / ٣٠١.
(٥) سورة البقرة ، الآية : ٢٠١.
(٦) الصحيفة السجادية الكاملة، مناجاة الراجين، ٣٣٨.
(٧) تنبيه الخواطر و نزهة النواظر، حلي ، ورام بن فراس ، ٢/ ١٢٠.

فالعبد بدعائه يصل إلى أعلى درجات الكمال المعنوي ، ومن المعلوم لدى العلماء أنّ دعاء الإنسان المسلم يتضمن مضامين تعبدية ؛ لأنّ الدعاء وسيلة يتوصل به العبد إلى بلوغ الكمال المعنوي ؛ ليصل إلى مرضاة الله تعالى، و من الطبيعي أنّ نفس كل امرئ تطمئن باللجوء إلى مَن بيده مقاليد الأمور ؛ والامام يُبين لنا كيفية ذلك حيث يقول سيد الساجدين عليه السلام: (إلهي ... اَيَحْسُنُ اَنْ اَرْجِعَ عَنْ بابِكَ بِالْخَيْبَةِ مَصْرُوفاً وَلَسْتُ اَعْرِفُ سِواكَ مَوْلىً بِالإحْسانِ مَوْصُوفاً، كَيْفَ اَرْجُو غَيْرَكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِكَ، وَكَيْفَ اُؤَمِّلُ سِواكَ وَالْخَلْقُ وَالاَمْرُ لَكَ، أَأَقْطَعُ رَجائي مِنْكَ وَقَدْ اَوْلَيْتَني ما لَمْ اَسْأَلْهُ مِنْ فَضْلِكَ اَمْ تُفْقِرُني اِلى مِثْلي وَاَنَا اَعْتَصِمُ بِحَبْلِكَ يا مَنْ سَعِدَ بِرَحْمَتِهِ الْقاصِدُونَ، وَلَمْ يَشْقَ بِنِقْمَتِهِ الْمُسْتَغْفِرُونَ، كَيْفَ اَنْساكَ وَلَمْ تَزَلْ ذاكِري، وَكَيْفَ اَهْوُ عَنْكَ وَاَنْتَ مُراقِبي، اِلهي بِذَيْلِ كَرَمِكَ اَعْلَقْتُ يَدي، وَلِنَيْلِ عَطاياكَ بَسَطْتُ اَمَلي، فَاَخْلِصْني بِخالِصَةِ تَوْحيدِكَ، وَاجْعَلْني مِنْ صَفْوَةِ عَبيدِكَ، يا مَنْ كُلُّ هارِب اِلَيْهِ يَلْتَجِئُ، وَكُلُّ طالِب اِيّاهُ يَرْتَجي، يا خَيْرَ مَرْجُوٍّ وَيا اَكْرَمَ مَدْعُوٍّ، وَيا مَنْ لا يَرُدُّ سائِلَهُ وَلا يُخَيِّبُ آمِلَهُ...)[1]

٣ – التواضع :

التواضع في حضرة الله و مع عباده من أحسن و أكمل ما يوصل الإنسان إلى التكامل الإنساني ، وهو صفة أخلاقية محمودة ، و الإمام السجاد عليه السلام في صحيفته المباركة علّم المسلمين كيف ينبغي لكل شخص أنْ يخضع ، ويتذلل أمام الله للوصول إلى الكمال ، قال ابن رسول الله علي بن الحسين عليه السلام:

(مَوْلايَ مَوْلايَ، أَنْتَ الْمَوْلَى، وَأَنَا الْعَبْدُ، وَهَلْ يَرْحَمُ الْعَبْدَ إِلاَّ الْمَوْلى.مَوْلايَ مَوْلايَ، أَنْتَ الْعَزِيزُ، وَأَنَا الذَّلِيلُ، وَهَلْ يَرْحَمُ الذَّلِيلَ إِلاَّ الْعَزِيزُ.مَوْلايَ مَوْلايَ، أَنْتَ الْخَالِقُ، وَأَنَا الْمَخْلُوقُ، وَهَلْ يَرْحَمُ الْمَخْلُوقَ إِلاَّ الْخَالِقُ.مَوْلايَ مَوْلايَ، أَنْتَ الْمُعْطِي وَأَنَا السَّائِلُ، وَهَلْ يَرْحَمُ السَّائِلَ إِلاَّ الْمُعْطِي.مَوْلايَ مَوْلايَ، أَنْتَ الْمُغِيثُ وَأَنَا الْمُسْتَغِيثُ، وَهَلْ يَرْحَمُ الْمُسْتَغِيثَ

(١) الصحيفة السجادية الكاملة، مناجاة الراجين،٣٣٨ – ٣٣٩.

إلّاَ المُغِيثُ. مَوْلايَ مَوْلايَ، أَنْتَ الْباقِي وَأَنَا الْفَانِي، وَهَلْ يَرْحَمُ الْفانِي إلّاَ الْباقِي...[1] وقال عليه السلام أيضاً في مكان أخر: أَللَّهُمَّ فَارْحَمْ وَحْدَتِي بَيْنَ يَدَيْكَ، وَوَجِيبَ قَلْبِي مِنْ خَشْيَتِكَ، وَاضْطِرَابَ أَرْكَانِي مِنْ هَيْبَتِكَ، فَقَدْ أَقَامَتْنِي يَا رَبِّ ذُنُوبِي مَقَامَ الْخِزْيِ بِفِنَائِكَ، فَإِنْ سَكَتُّ لَمْ يَنْطِقْ عَنِّي أَحَدٌ، وَإِنْ شَفَعْتُ فَلَسْتُ بِأَهْلِ الشَّفَاعَةِ. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَشَفِّعْ فِي خَطَايَايَ كَرَمَكَ، وَعُدْ عَلَى سَيِّئَاتِي بِعَفْوِكَ، وَلاَ تَجْزِنِي جَزَائِي مِنْ عُقُوبَتِكَ وَابْسُطْ عَلَيَّ طَوْلَكَ وَجَلِّلْنِي بِسِتْرِكَ، وَافْعَلْ بِي فِعْلَ عَزِيز تَضَرَّعَ إِلَيْهِ عَبْدٌ ذَلِيلٌ فَرَحِمَهُ، أَوْ غَنِيٍّ تَعَرَّضَ لَهُ عَبْدٌ فَقِيرٌ فَنَعَشَهُ. أَللَّهُمَّ لاَ خَفِيرَ لِي مِنْكَ فَلْيَخْفُرْنِي عِزُّكَ، وَلا شَفِيعَ لِي إِلَيْكَ فَلْيَشْفَعْ لِي فَضْلُكَ، وَقَدْ أَوْجَلَتْنِي خَطَايَايَ فَلْيُؤْمِنِّي عَفْوُكَ).[2] وهذا هو حقيقة التواضع عند الباري تعالى.

٤ – الأخلاق الحسنة :

والأخلاق الفاضلة أيضًا تحقق للإنسان معاني الإنسانية الرفيعة، وشرف النفس وسموها نحو العزة والكرامة الدنيوية والأخروية ، ولمّا لم تكن الأخلاق الإسلامية جزء من الدين فقط ، وإنّما كان جوهر الدين و حقيقته وروحه فهي سبب ومبدأ للتكامل الإنساني، فالإمام عليه السلام بيّن المنزلة الأعلى للأخلاق الحسنة، والفضائل المطلوبة التي يتربّى على مبادئها كل من يريد التكامل الروحي المعنوي للوصول إلى ذروة الكمال الإنسانية ، قال الإمام زين العابدين عليه السلام: (أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ ... وَلا تَبْتَلِيَنِّي بِالْكِبْرِ، وَعَبِّدْنِي لَكَ وَلاَ تُفْسِدْ عِبَادَتِي بِالْعُجْبِ، وَأَجْرِ لِلنَّاسِ عَلَى يَدَيَّ الْخَيْرَ، وَلا تَمْحَقْهُ بِالْمَنِّ، وَهَبْ لِي مَعَالِيَ الاَخْلاَقِ، وَاعْصِمْنِي مِنَ الْفَخْرِ) [3] ، و الشاهد الآخر على ذلك أيضًا ما قاله سيد المرسلين صلى الله عليه وآله :(إنّما بعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق) [4] ، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .[5]

(١) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه ٧ في التذلل ،٣١٢.
(٢) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه ٧ في ذكر التوبة وطلبها،١٦٤ – ١٦٥.
(٣) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه ٧في مكارم الأخلاق و مرضي الأفعال،١١٠ – ١١١.
(٤) مجمع البيان، طبرسي، فضل بن حسن، ١٠/ ٥٠٠ .
(٥) سورة القلم ، الآيتان : ٣- ٤.

٥ – طلب العبد العفو من الله تعالى :

ومن أنواع التكامل الفردي أيضًا طلب العبد عفو الله تعالى و رحمته في كلّ زمان و مكان ؛ لأنّ كمال كرامة العباد جميعا عند الله هو الوصول إلى غفران الله و رحمته تعالى، لذا ينبغي للمذنب بل واجبٌ عليه أنْ يطلب العفو والغفران من الله لمحو ذنوبه للحصول على التكامل الروحي ، و الله تعالى هو واسع الرحمة والمغفرة، فقد وصف ذاته المقدّسة في محكم كتابه المجيد بقوله: ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُوراً ﴾.(١)

وقال تعالى أيضا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ .(٢)

لطلب عفو الله ورحمته دائرة واسعة و مصاديق عديدة ، وقد بَيّنه الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في دعائه لطلب العفو و الرحمة من الله ، فبدأ الإمام عليه السلام تعليم الناس ما يجب عليهم للحصول على العفو والرحمة الإلهية ، فبيّن أنّ لطالب عفو الله و رحمته يجب أنْ يتخلّى عن الصفات المذمومة ، إذ يطلب منه تعالى أنْ يكسر شهوته عن كل حرام ، وأنْ يبعد حرصه عن كل ذنب، ثم ينتهي إلى أداء حقوق الآخرين ويمنع نفسه أيضًا من إيذاء خلق الله ، ويسأل الله أنْ يمنعه من إيذاء المؤمنين بصورة خاصة و المسلمين بصورة عامة، و يدعو لهم بالعفو والرحمة والغفران ، و بهذا المعنى قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَاكْسِرْ شَهْوَتِي عَنْ كُلِّ مُحَرَّم، وَازْوِ حِرْصِي عَنْ كُلِّ مَأثَم، وَامْنَعْنِي عَنْ أَذَى كُلِّ مُؤْمِن وَمُؤْمِنَة وَمُسْلِم وَمُسْلِمَة، أَللَّهُمَّ وَأَيُّمَا عَبْد نالَ مِنِّي مَا حَظَرْتَ عَلَيْهِ، وَانْتَهَكَ مِنِّي مَا حَجَرْتَ عَلَيْهِ، فَمَضَى بِظُلاَمَتِي مَيِّتاً، أَوْ حَصَلْتَ لِيْ قِبَلَهُ حَيّاً، فَاغْفِرْ لَهُ مَا أَلَمَّ بِهِ مِنِّي، وَاعْفُ لَهُ عَمَّا أَدْبَرَ بِهِ عَنِّي، وَلاَ تَقِفْهُ عَلَى مَا ارْتَكَبَ فِيَّ، وَلاَ تَكْشِفْهُ عَمَّا اكْتَسَبَ بِيْ، وَاجْعَلْ مَا سَمَحْتُ بِهِ مِنَ الْعَفْوِ عَنْهُمْ وَتَبَرَّعْتُ بِهِ مِنَ الصَّدَقَةِ عَلَيْهِمْ أَزْكَى صَدَقَاتِ الْمُتَصَدِّقِينَ وَأَعْلَى صِلاَتِ الْمُتَقَرِّبِينَ، وَعَوِّضْنِي مِنْ عَفْوِي عَنْهُمْ عَفْوَكَ وَمِنْ دُعَائِي

(١) سورة النساء ، الآية : ٤٣.
(٢) سورة التحريم ، الآية : ٨.

لَهُمْ رَحْمَتَكَ حَتَّى يَسْعَدَ كُلُّ وَاحِد مِنَّا بِفَضْلِكَ وَيَنْجُوَ كُلٌّ مِنَّا بِمَنِّكَ.[1]

٦ – الولاية:

إنّ من أهم مبادئ التكامل الإنساني، وأحسنها هو كائنٌ في ولاية الأئمة المعصومين: من آل بيت النبوة، ولمّا كانت النبوة والإمامة لا يفترقان فلابدّ لطالب الكمال من ولاية الأئمة الطاهرة من آل بيت النبوة الوصول إلى التكامل الحقيقي عن طريق اتباعهم ؛ لأنّ لهؤلاء الأئمة: وحدة الأصل و وحدة المنهج مع جدّهم رسول الله ﷺ لهداية الناس جميعًا، وهي أهم مبادئ التكامل الإنساني و أكملها، و الإمام السجاد في صحيفته المباركة بيّن لنا من هم الأئمة الطاهرون، وخلفاء الله في الأرض، قال الإمام عليه السلام: (رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد الْمُنْتَجَبِ، الْمُصْطَفَى، الْمُكَرَّمِ، الْمُقَرَّبِ، أَفْضَلَ صَلَوَاتِكَ، وَبَارِكْ عَلَيْهِ أَتَمَّ بَرَكَاتِكَ.... رَبِّ صَلِّ عَلَى أَطَائِبِ أَهْلِ بَيْتِهِ الَّذِينَ اخْتَرْتَهُمْ لاَمْرِكَ، وَجَعَلْتَهُمْ خَزَنَةَ عِلْمِكَ، وَحَفَظَةَ دِيْنِكَ، وَخُلَفَآءَكَ فِي أَرْضِكَ، وَحُجَجَكَ عَلَى عِبَادِكَ، وَطَهَّرْتَهُمْ مِنَ الرِّجْسِ وَالدَّنَسِ تَطْهِيراً بِإِرَادَتِكَ، وَجَعَلْتَهُمُ الْوَسِيْلَةَ إِلَيْكَ وَالْمَسْلَكَ إِلَى جنتك).[2] و إنّ من حقوق النبي ﷺ حبّ أهل بيته و ولايتهم طبقًا لما جاء في القرآن الكريم.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾.[3]

إنّ ولاية الله تعالى مشروطة بولاية أنبياء الله و ولاية هؤلاء أيضًا مشروطة بولاية ورثتهم على الحقّ، وورثة الرسول الاكرم ﷺ هم الذين عيّنهم الرسول لخلافته و لقيادة الأمة الإسلامية بعده، وهم اثنا عشر إمامًا أوّلهم الامام علي ابن أبي طالب وآخرهم الإمام المهدي عجل الله فرجه، و كلّ من أراد الدخول في ولاية الله وحصنه فلابدّ من الإقتداء بهؤلاء ؛ لأنّ الأئمة المعصومين هم حجالله على الناس أجمعين بل حجالله على الخلق، و مقام الخلافة الحقة لله تعالى خاصٌّ بهم و لهم وإنْ جلس غيرهم مكان الخلافة.

(١) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه عليه السلام في طلب العفو والرحمة، ١٩٣-١٩٤.
(٢) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه ٧ في يوم عرفة، ٢٤٧ – ٢٤٨.
(٣) سورة الشورى، الآية : ٢٣.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝٥٥ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾. (١)

وقال رسول الله ﷺ: من أحبّ أنّ يركب سفينة النجاة ويستمسك بالعروة الوثقى، ويعتصم بحبل الله المتين، فليوالي عليًا بعدي، وليعاد عدّوه، وليأتم بالأئمّة الهداة من ولده، فإنّهم خلفائي وأوصيائي، وحجالله على خلقه من بعدي، وسادات أمّتي، وقادة الأتقياء إلى الجنّة حزبهم حزبي، وحزبي حزب الله، وحزب أعدائهم حزب الشيطان. (٢)

ويقول الإمام السجاد عليه السلام: (أللَّهُمَّ إنَّ هَذَا الْمَقَامَ لِخُلَفَائِكَ وَأَصْفِيَآئِكَ وَمَوَاضِعَ أُمَنائِكَ فِي الدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ الَّتِي اخْتَصَصْتَهُمْ بِهَا، قَدِ ابْتَزُّوهَا وَأَنْتَ الْمُقَدِّرُ لِذَلِكَ، لاَ يُغَالَبُ أَمْرُكَ، وَلاَ يُجَاوَزُ الْمَحْتُومُ مِنْ تَدْبِيرِكَ.... حَتَّى عَادَ صَفْوَتُكَ وَخُلَفَاؤُكَ مَغْلُوبِينَ مَقْهُورِينَ مُبْتَزِّيْنَ، يَرَوْنَ حُكْمَكَ مُبَدَّلاً، وَكِتابَكَ مَنْبُوذاً، وَفَرَائِضَكَ مُحَرَّفَةً عَنْ جِهَاتِ إشْرَاعِكَ، وَسُنَنَ نَبِيِّكَ مَتْرُوكَةً. أللَّهُمَّ الْعَنْ أَعْدَآءَهُمْ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالاخِرِينَ، وَمَنْ رَضِيَ بِفِعَالِهِمْ وَأَشْيَاعَهُمْ وَأَتْبَاعَهُمْ). (٣)

ومن أعظم ما يمنع الإنسان من التكامل المعنوي الحق في الأمة الإسلامية ، هو الجهل بالولاية الحقة، ولو كان المسلمون على معرفة للولاية الحقة ودخلوا في حصن الله من حيث أمر هم الله تعالى ؛ لهانت عليهم المشاكل ولوصلوا إلى أعلى درجات الكمال في دار الدنيا والآخرة ، ومسألة الولاية و الإمامة بعد الرسول الأكرم ﷺ شيء مهمٌّ جدّا بالنسبة إلى كل عاقل ؛ ولذا نرى تركيز الإمام عليه السلام في الصحيفة السجادية المباركة على مفهوم العصمة و الطهارة و الخلافة ؛ ليفهم الناس أنّ الإمامة والقيادة الربانية لايصلح لكل أحد، و ليعلم كلّ المسلمين من هم أمناء الله تعالى وأصفيائه للرسالة المحمدية ؛ لأنّ الولاية و الإمامة هي

(١) سورة المائدة ، الآيتان : ٥٥ – ٥٦.
(٢) ينابيع المودّة، قندوزي، سليمان بن إبراهيم، ٢، ٣١٦.
(٣) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه عليه السلام للأضحى و الجمعة، ٢٧٠

رئاسة عامة لهداية جميع الناس في أمور الدين والدنيا ، ومقام الخلافة والإمامة والرئاسة الإلهية كمقام النبوة والرسالة أي ليست بيد الناس ، وإنّما هو بيد الله تعالى وحده وهو الذي يخلق ما يشاء ويختار لهداية خلقه من يشاء.

وقال الرسول الأكرمﷺ: (من سرّه أنّ يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن التي غرسها ربّي، فليوال عليًا من بعدي، وليوال وليّه، وليقتد بأهل بيتي من بعدي، فإنّهم عترتي، خلقوا من طينتي، ورزقوا فهمي وعلمي، فويل للمكذّبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي). [1]

٧ – الصلاة على النبي وآله :

وإنّ من أسرع ما يوصل الإنسان إلى الكمال الإنساني الحقيقي أيضًا هو الصلاة على النبي محمد و آله الطاهرين، وهي جامعة لجميع أذكار المؤمنين ومقبولة بدون أيّ شرط ، وهي الذكر الوحيد الذي يفعله الله ويفعله ملائكته ، وأمر عباده المؤمنين أيضًا بفعله. قال الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيما ﴾ .[2] و تتابعت الصلوات على الرسول الأعظمﷺ في أدعية الإمام السجادؑ ؛ ليعرف المؤمنون ما يجب فعله للحصول على مرضاة الله ، وقال ؑ رَبِّ صَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ صَلاَةً لاَ أَمَدَ فِي أَوَّلِهَا، وَلاَ غَايَةَ لِاَمَدِهَا، وَلاَ نِهَايَةَ لِاخِرِهَا.رَبِّ صَلِّ عَلَيْهِمْ زِنَةَ عَرْشِكَ وَمَا دُونَهُ، وَمِلءَ سَمواَتِكَ وَمَا فَوْقَهُنَّ، وَعَدَدَ أَرَضِيْكَ، وَمَا تَحْتَهُنَّ، وَمَا بَيْنَهُنَّ، صَلاَةً تُقَرِّبُهُمْ مِنْكَ زُلْفى وَتَكُونُ لَكَ وَلَهُمْ رِضَىً، وَمُتَّصِلَةٌ بِنَظَائِرِهِنَّ أَبَداً.[3]

و جاء في مورد آخر حيث قال الإمام علي بن الحسينؑ:

(رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، صَلاَةً تُرْضِيهِ وَتَزِيدُ عَلَى رِضَاهُ، وَصَلِّ عَلَيْهِ صَلاَةً تُرْضِيكَ وَتَزِيدُ عَلَى رِضَاكَ لَهُ، وَصَلِّ عَلَيْهِ صَلاَةً لاَ تَرْضَى لَهُ إِلاَّ بِهَا، وَلاَ تَرى غَيْرَهُ لَهَا أَهْلاً، رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، صَلاَةً تُجَاوِزُ رِضْوَانَكَ، وَيَتَّصِلُ اتِّصَالُهَا بِبَقَائِكَ، وَلاَ يَنْفَدُ كَمَا لاَ تَنْفَدُ

(١) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، متقي، علي، ١٢/ ١٠٣.
(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٥٦.
(٣) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه عليه السلام في يوم عرفة،٢٤٩.

كَلِماتُكَ. رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ صَلاةً تَنْتَظِمُ صَلَوَاتِ مَلائِكَتِكَ وَأَنْبِيآئِكَ وَرُسُلِكَ وَأَهْلِ طَاعَتِكَ. وَتَشْتَمِلُ عَلَى صَلَوَاتِ عِبَادِكَ مِنْ جِنّكَ وَإِنْسِكَ وَأَهْلِ إِجَابَتِكَ، وَتَجْتَمِعُ عَلَى صَلاةِ كُلِّ مَنْ ذَرَأْتَ وَبَرَأْتَ مِنْ أَصْنَافِ خَلْقِكَ). (١)

آثار الصلاة على النبي محمد وآله :

يوجد رأيان حول آثار الصلاة على النبي محمد وآله الطاهرين ، الرأي الأول : يقول إنّ آثار الصلاة عليهم وفائدتها تعود إلى المصلّي فقط ؛ لأنّ النبي والأئمة قد بلغوا من الكمال الإنساني إلى القمة، فهم خير الخلق و واسطة الفيض الإلهي بين الخالق و المخلوق، وعلى ذلك فخير الخلق وأوّله وسبب وجوده، لا يحتاج إلى صلاة أحد ممن هو أقل منه مرتبة، فصلاتنا عليهم لا تزيدهم في كمالاتهم ودرجاتهم ، وإنّما الصلاة التي نصلي عليهم تنفعنا نحن بالتقرّب بها إليهم، وإلى الله وأمرنا بذلك لإظهار حبّهم وولائهم لأن ذلك يحفظنا و يبعدنا عن الذنوب.

قال النبي ﷺ :(ما من أحد صلَّى عليَّ مرة وأسمع حافظيه آليا أن لا يكتبا عليه ذنب ثلاثة أيام). (٢)

ومن جانب آخر هناك رأي ثان يرى أنّه كما يوجد آثار وفوائد للمصلي على النبي وآله الطاهرين: فكذلك توجد آثار وفوائد للنبي وآله الأبرار ؛ لأنّ الصلاة عليهم تكون سببًا لزيادة كمالاتهم وقربهم إلى الله تعالى فدرجات القرب الإلهي لا تقف عند حدّ والكمالات الإلهية غير متناهية، ويوجد فوق كل درجة درجة أو درجات أخرى ، كما أنّه توجد درجات بيننا وبين الرسول الأكرمﷺ وأهل البيت : لا يمكن لأحد من الناس أن يصل إليها مهما تكامل وعرفي مدارالكمال، كذلك فإنّ بينهم وبين اللهّ تعالى درجات غير متناهية، كلما صعدوا إلى منزلة من منازل القرب الإلهي توجد منازل أخرى فوق التي وصلوا إليها فالكمالات الإلهية لا تنتهي، فكلما صلّى عليه وآله عبدٌ ستكون تلك الصلاة سببًا لزيادة كمالاتهم ومرتبتهم وقربهم إلى الله عزَّ وجلَّ والإمام السجاد أشار إلى ذلك في صحيفته

(١) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه عليه السلام في يوم عرفة،٢٤٧.
(٢) كنز الأخيار في ذكر الصلاة على محمد وآله الأطهار ، عبد الله، ص٧٥.

المباركة.

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:(رَبِّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ صَلاةً تُجْزِلُ لَهُمْ بِهَا مِنْ تُحَفِكَ وَكَرَامَتِكَ، وَتُكْمِلُ لَهُمُ الاَشْيَآءَ مِنْ عَطَايَاكَ وَنَوَافِلِكَ، وَتُوَفِّرُ عَلَيْهِمُ الْحَظَّ مِنْ عَوَائِدِكَ وَفَوائِدِكَ). [1]

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام:(أللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ صَلاةً تُبَلِّغُهُ بِهَا أَفْضَلَ مَا يَأْمُلُ مِنْ خَيْرِكَ وَفَضْلِكَ وَكَرَامَتِكَ إِنَّكَ ذُوْ رَحْمَة وَاسِعَة وَفَضْل كَرِيم. أللَّهُمَّ اجْزِهِ بِمَا بَلَّغَ مِنْ رِسَالاتِكَ وَأَدَّى مِنْ آيَاتِكَ وَنَصَحَ لِعِبَادِكَ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِكَ أَفْضَلَ مَا جَزَيْتَ أَحَداً مِنْ مَلائِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ وَأَنْبِيَائِكَ الْمُرْسَلِينَ الْمُصْطَفَيْنَ. والسَّلاَمُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ). [2]

ب – التكامل الإجتماعي :

إنّ الأصول والمبادئ للتكامل الإجتماعي أيضًا عديدة وللإنسان المسلم نطاق واسع لتكامله الإجتماعي، و لما كان المقصود بالتكامل الإنساني على مستوى الفرد هو تطبيق الأخلاقية الإلهية في الجانب الفردي، فكذلك أيضًا يكون التكامل الإجتماعي تطبيقًا للأخلاقية الإلهية ، على مستوى الجماعة و المجتمع الإنساني وفيما يلي ذكر بعض أنواع التكامل الإجتماعي :

١ – الدعاء :

إنّ الدعاء للآخرين من أهم أنواع العبادات التي تحقق للمسلمين التكامل المعنوي، والدعاء هو اقبال العبد على الله و شعوره بالفقر المطلق بين يدى الله تعالى الموجود المطلق، و الدعاء روح العبادة ومخّها ، وهي الغاية من خلق الإنسان ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الدعاء مخُّ العبادة، ولا يهلك مع الدعاء أحدٌ [3] ، و من أعظم العبادات التي يتوجه به المسلم إلى خالقه هو الدعاء للآخرين ، و هو من أحسن الأسباب التي تؤدّي إلى إشاعة المودة والمحبة

(١) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه عليه السلام يوم عرفة،٢٤٨.
(٢) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه عليه السلام عند ختمه القرآن،٢١٠.
(٣) بحار الأنوار ، مجلسي ، محمد باقر ، ٩٣ / ٣٠٠ .

بين المسلمين، والداعي للمسلمين كالساعي لقضاء حوائجهم ويتحصل بذلك على الكمال الروحي ؛ لأنّ خير الناس أنفعهم للناس، ومن عادة الإمام السجاد عليه السلام الدعاء للآخرين.

قال الامام عليه السلام:(أللَّهُمَّ أَعْطِنَا جَمِيعَ ذلِكَ بِتَوْفِيقِكَ وَرَحْمَتِكَ، وَأَعِذْنَا مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ، وَأَعْطِ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ مِثْلَ الَّذِي سَأَلْتُكَ لِنَفْسِي وَلِوُلْدِي فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الاخِرَةِ، إِنَّكَ قَرِيبٌ مُجِيبٌ سَمِيعٌ عَلِيمٌ عَفُوٌّ غَفُورٌ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ). (١)

التكامل الإجتماعي يتحقق عبر طلب الخير لبقية الناس ، والدعاء لهم يستدعي ذلك وهذا يربط الداعي المسلم بالمسلمين جميعاً من الأولين إلى الآخرين ، يعني كل من استوطن على هذه البسيطة من لدن آدم إلى آخر من يموت من المسلمين، كما تربط الصلاة على النبيّ محمّد وآله الأطهار: المؤمن بحبل الله تعالى.

والدعاء للناس يأتي على نحوين : النحو الأول : هو العموم أي من غير تسمية الأشخاص بذكر الأسماء ، كما جاء آنفا في دعاء الامام زين العابدين عليه السلام وقال تعالى: ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ .(٢)

والثاني : على نحو التشخيص و تسمية الأفراد. والأول هو الأوسع والأفضل من الثاني؛ لأنه يشمل كل مسلم ومسلمة و الدعاء للمسلمين تكامل للداعي وللمدعو له ويكون سببًا في امتداد العلاقة بالله تعالى. قال الله جلّ وعلا : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ .(٣)

قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام في دعائه لأبويه عليهما السلام:(أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَاغْفِرْ لِي بِدُعَائِي لَهُمَا، وَاغْفِرْ لَهُمَا بِبِرِّهِمَا بِي، مَغْفِرَةً حَتْماً وَارْضَ عَنْهُمَا بِشَفَاعَتِي لَهُمَا رِضَىً عَزْماً، وَبَلِّغْهُمَا بِالْكَرَامَةِ مَوَاطِنَ السَّلامَةِ). (٤)

(١) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه لأولاده عليهم السلام،١٤١.
(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٠١.
(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٥١.
(٤) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه عليه السلام لأبويه عليهما السلام.

والتكامل الذي يحصل عليه الداعي للآخرين لا يمكن أنْ يحصل عليه في غيرخشوع و تذلل ؛ لأنّ الله تعالى يثيب صاحب الدعاء أجرًا عظيمًا ويجعل له حسنات بعدد المسلمين الذين شملهم دعاؤه، و أيضا كل من يشمله دعاءه يشفع له يوم القيامة بين يدي الله تعالى، عندما يأمر الله الصالحين الشفاعة للمذنبين من الناس ، فالإنسان حينما يدعو للآخرين يفتح قلبه لهم بالحب والعطف والرحمة والمودة ، ويزيل من نفسه كل ما كان بينه وبينهم من العداوة والنفور ، فإنّ انفتاح المؤمنين بعضهم على بعض يكون سببًا لنزول رحمة الله على الأمة.

و دعاء المسلمين بعضهم لبعض بظهر الغيب من أجمل الأنواع في بيان معاني الأخوة في الله، وأصدق مشاعر الحب ؛ لأنّ الدعاء هو من أعظم العبادات التي يتوجه بها المسلم إلى خالقه ، و هو الإتصال الدائم بالله الخالق العظيم الذي بيده مصير كل شيء. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ .[1]

٢ – العدل

إنّ عدل الإنسان المسلم وإحسانه إلى الناس يقربه من الله تعالى ، ويؤدي ذلك إلى التكامل المعنوي الروحي والله تعالى أمر الناس أنْ يقيموا بالقسط ، وأنْ يحسنوا فيما بينهم ليكونوا محبوبين عنده تعالى، وهو يحب المحسنين ، و منزلة العدل في تكامل الناس عظيمة لذا نرى الإمام زين الإمام العابدين عليه السلام يركّز كثيرًا على مراعات حقوق الآخرين في صحيفته المباركة ؛ لأنّ الإتصاف بالعدل يكون سببًا لسيادة الفضائل ، وقوام المجتمع للوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة. قال الإمام عليه السلام:(اللّهمَّ إنّي أعتذرُ إليكَ منْ مظلومٍ ظُلِمَ بحضرتي فَلَمْ أنصرْهُ، ومِنْ معروفٍ أُسديَ إليَّ فلمْ أشكُرْهُ، ومِنْ مسيءٍ اعتذرَ إليَّ فلمْ أعذرْهُ، ومِنْ ذِي فاقةٍ سألني فلمْ أؤثرْهُ، ومِنْ حقِّ ذي حقٍّ لزمني لمؤمنٍ فلمْ أوفِّرْهُ، ومِنْ عيب مؤمنٍ ظهرَ لي فلمْ أستُرْهُ). [2]

(١) سورة نوح ، الآية : ٢٨.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة ، دعاؤه عليه السلام في الإعتذار من تبعات العباد ومن التقصير في

٣ – الإحسان

إنّ الإحسان إلى الناس والإنفاق عليهم من أسرع ما يوصل الإنسان المؤمن إلى الكمال المعنوي ، قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١) ، وقال الإمام علي عليه السلام: نعم زاد المعاد الإحسان إلى العباد. (٢)

لذا ينبغي لكل إنسان مسلم أنْ يربي نفسه على مقابلة الإساءة بالإحسان إلى المسيئ إليه؛ لأنّ أكثر المشاكل التي تحدث في المجتمع الإسلامي بين الأفراد إنّما توجد بالخطأ لا بالعمد، والإمام زين العابدين يعلمنا مراعاة حقوق الناس، و الإحسان إليهم دائمًا ؛ لذا يبين عليه السلام لنا في مقطع من دعاء المكارم الأخلاق كيف ينبغي نشر الإحسان إلى الناس جميعا قال عليه السلام:

(اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِه وسَدِّدْنِي لأَنْ أُعَارِضَ مَنْ غَشَّنِي بِالنُّصْحِ، وأَجْزِيَ مَنْ هَجَرَنِي بِالْبِرِّ، وأُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْبَذْلِ، وأُكَافِيَ مَنْ قَطَعَنِي بِالصِّلَةِ، وأُخَالِفَ مَنِ اغْتَابَنِي إِلَى حُسْنِ الذِّكْرِ، وأَنْ أَشْكُرَ الْحَسَنَةَ، وأُغْضِيَ عَنِ السَّيِّئَةِ). (٣)

٤ – البرّ والطاعة لله :

ومن مبادئ التكامل الإنساني الإجتماعي أيضًا البرّ والطاعة لله عزَّ وجلَّ، والبر هو الإحسان والإتساع والصلة بأعمال الخير، وإنّ من أسماء الله تعالى اسم البرّ بمعنى أنّه تعالى يحسن إلى خلقه، ويوسع عليهم بجميع أنواع الخير ويعطف عليهم، ولا يقطع الإحسان بسبب عصيانهم. وبهذا الصدد قال الراغب الأصفهاني: البر التوسع في فعل الخير، وينسب ذلك إلى الله تارة نحو إنّه هو البر الرحيم، وإلى العبد تارة ، فيقال: بِرّ العبد به أي توسع في طاعته ، فمن الله تعالى الثواب ، ومن العبد الطاعة (٤)، ولمّا كان البِرّ هو الإيمان و التوسّع

حقوقهم وفي فكاك رقبته من النار،١٩١.

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٣٤.

(٢) عيون الحكم و المواعظ،علي ليثي واسطي ،٤٩٤.

(٣) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه عليه السلام في مكارم الأخلاق،١١٣.

(٤) المفردات في غريب القرآن، راغب اصفهاني ، أبي القاسم الحسين ، ص٤٠.

في الطاعات واتيان أعمال الخير ، والإتصاف بمكارم الأخلاق أصبح الإنسان الذي يريد الوصول إلى الكمال الذي يحقق له سعادة الدارين محتاجًا إليه دائمًا.

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: اَللّهُمَّ اَلْهِمْنا طاعَتَكَ، وَجَنِّبْنا مَعْصِيَتَكَ، وَيَسِّرْ لَنا بُلُوغَ ما نَتَمَنّى مِنِ ابْتِغاءِ رِضْوانِكَ.(١)

٥ – الإنفاق :

للإنفاق ثوابٌ عظيمٌ ومراتب عالية للتكامل الإنساني ويتحقق بواسطة الإجتماع، وهو نتيجة إيمان المرء بالله و علامة على عمق يقينه بربه المنعم ، وينبغي لطالب التكامل المعنوي أنْ ينفق ماله على الناس ، وأنْ يقصد القربة لله عزّ وجلّ في كده وسعيه في تحصيل النفقة؛ لأنّه لا يوجد ثواب بدون قصد القربة، وأنْ يعرف أيضًا الإنفاق المطلوب من الله تعالى للحصول على الثواب المطلوب، وأنْ يبتعد عن كل مال حرام، ويتجنب الإسراف ولا ينفق إلّاَ الحلال ؛ لأنّ إنفاق المال الحرام معصيةٌ و هو حرامٌ و ينبغي أنْ يبدأ المرء بعياله ؛ لأنّه لا صدقة و ذو رحم محتاجٌ ، والنفقة على قسمين وهما : النفقة الواجبة و النفقة المستحبة، وتشمل النفقة الواجبة بأحد الأسباب الثلاثة التالية: وهي الزوجيّة، والقرابة، والملك ، وأمّا النفقة المستحبة فهي التي تكون لغير الأسباب الثلاثة المذكورة.

قال تعالى: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ الله بِهِ عَلِيمٌ ﴾ .(٢)

وعن الإمام علي عليه السلام قال:(أتى رجل النبيَّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله أيّ الناس أفضلهم إيمانا ؟ فقال: أبسطهم كفّاً)(٣) ، وقال الإمام أيضا: (أفضل ما توسل به المتوسلون الإيمان بالله ... وصدقة السر، فإنها تذهب الخطيئة وتطفئ غضب الرب).(٤)

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:(وحق الصدقة أنْ تعلم أنّها ذخرك عند ربك عز وجل،

(١) الصحيفة السجادية الكاملة، مناجاة المطيعين لله،٣٤٨.
(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٩٢.
(٣) الكافي، الكليني، محمد بن يعقوب، ٤/ ٤٠ .
(٤) أمالي الطوسي، طوسي ، محمد بن حسن، ١/ ٢١٦.

ووديعتك التي لا تحتاإلى الإشهاد عليها، وكنت بها تستودعه سرا أوثق منك بها تستودعه علانية، وتعلم أنّها تدفع البلايا والأسقام عنك في الدنيا، وتدفع عنك النار في الآخرة). [١]

قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: (أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَاحْجُبْنِي عَنِ السَّرَفِ وَالازْدِيَادِ، وَقَوِّمْنِي بِالْبَذْلِ وَالاقْتِصَادِ، وَعَلِّمْنِي حُسْنَ التَّقْدِيرِ، وَاقْبِضْنِي بِلُطْفِكَ عَنِ التَّبْذِيرِ وَأَجْرِ مِنْ أَسْبَابِ الْحَلاَلِ أَرْزَاقِي، وَوَجِّهْ فِي أَبْوَابِ الْبِرِّ إِنْفَاقِي، وَازْوِ عَنِّي مِنَ الْمَالِ مَا يُحْدِثُ لِي مَخِيلَةً أَوْ تَأَدِّياً إِلَى بَغْي، أَوْ مَا أَتَعَقَّبُ مِنْهُ طُغْيَاناً). [٢]

ثالثاً: الموانع والحواجز للتكامل الإنساني

فلكل من التكامل الإنساني وعدمه أسبابٌ ينبغي معرفتها للوصول إلى الهدف، ومع عدم معرفتها لا يمكن للمرء أنْ يصل إلى أعلى مراتب التكامل المعنوي، وسرعة السير مع عدم معرفة الطريق لا يزيد الإنسان إلّا ّ البعد من المقصد فالقرآن الكريم بين للناس أنّ لكل شيء سببًا، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾[٣] ، فالموانع والحواجز للتكامل الإنساني على أقسام ثلاثة وهي: موانع معرفية، وموانع أخلاقية، وموانع سلوكية.

أ – الموانع المعرفية :

إنّ الموانع والحواجز المعرفية التي تمنع التكامل الروحي الإنساني كثيرة منها : الشك، والتقليد الأعمى ، واتباع الظن ،فالشك مرض في فكر الإنسان ، وفي قلبه و يسبب اطفاء نور القلب و فقدان الطمأنينة ، و يكون أيضا سببًا لإحباط الإيمان و فقدان السعادة الدنيوية والأخروية ، و هو من الموانع و الحواجز الخطيرة للتكامل الروحي ، إذ يمنع التكامل المعنوي للإنسان تمامًا ، والشاهد على ذلك ما قاله الإمام علي بن الحسين عليه السلام:(أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَجَنِّبْنَا الالْحَادَ فِي تَوْحِيدِكَ وَالتَّقْصِيرَ فِي تَمْجِيدِكَ وَالشَّكَّ فِي دِينِكَ). [٤]

(١) بحار الأنوار، مجلسي ، محمد باقر ، ٤،٧٤ .
(٢) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه عليه السلام في المعونة على قضاء الدين،١٥٧.
(٣) القرآن الكريم، سورة الكهف ، الآية : ٨٤.
(٤) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه٧إذا دخل شهر رمضان،٢١٩.

وأيضاً قال تعالى: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ .(١) وقال أمير المؤمنون عليه السلام: شرُّ القلوب الشاكُّ في إيمانه.(٢)

ومن الموانع المعرفية للتكامل الإنساني تقليد الأعمى ، فهو شيء مذموم عقلًا وشرعًا وغير مستحسن عند جميع العقلاء ؛ لأنّ الظن لا يغني من الحق شيئًا ، فالبشر أجلّ شأنًا وأشرف مقامًا من المخلوقات ؛ لذلك لا ينبغي له أنْ يقلد شخصًا أيّا كان تقليد الأعمى كالحيوانات الفاقدة للعقل، وإنّما واجب عليه أنْ يكون له برهان ودليل على كل ما يقوم به من أمور دينه بدون أنْ يقلِّد الآباء تقليد الأعمى ، فالإسلام نهى عن ذلك بشدّة. قال سيد الساجدين عليه السلام:(أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَجَنِّبْنَا الالْحَادَ فِي تَوْحِيدِكَ ... وَالْعَمَى عَنْ سَبِيْلِكَ وَالاغْفَالَ لِحُرْمَتِكَ، وَالانْخِدَاعَ لِعَدُوِّكَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ).(٣) و قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾(٤) وأمّا التقليد الذي ندعو إليه وندافع عنه ، فهو التقليد الذي يدلنا على معرفة الله ، ومعرفة أحكام دينه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله ؛ لأن المقلَّدين مؤمنون علماء فقهاء أتقياء.

وأيضًا لما كان الظن ترجيح المحتمل لقرينة صالحة مبيِّنة ، صار من الموانع للتكامل الروحي وهذا لا يتناسب مع تكامل الإنسان معنويًّا ؛ لأن التكامل المعنوي الروحي يتطلب العلم واليقين ، لا الظن والشكّ. والظنّ فوق الشك والوهم وأقل درجة من اليقين والقطع، فهذا لا يتناسب مع تكامل الإنسان معنويًا ؛ لأنّ التكامل يتطلب العلم واليقين ، و أمّا وقوع الظن في المسائل الإعتقادية غير التفصيلية (الأساسية) غير مقبول ، لأنّه يجب الإيمان القطعي بالله سبحانه وتعالى وبما أمرنا به ، ولا يكفي في ذلك مطلق الظن ، قال الإمام زين العابدين عليه السلام: (أَسْأَلُكَ عَمَلاً تُحِبُّ بِهِ مَنْ عَمِلَ بِهِ، وَيَقِيناً تَنْفَعُ بِهِ مَنِ اسْتَيْقَنَ بِهِ حَقَّ

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ١٠ .
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، الآمدي ، أبو الفتح ،١٩٧٠ .
(٣) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه ٧إذا دخل شهر رمضان،٢١٩ .
(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٧٠ .

الْيَقِينِ فِيْ نَفَاذِ أَمْرِكَ). [1] وقال تعالى: ﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ [2] ، إلاّ أنّه يجب تحقق حسن الظن بالله تعالى في العبادة وقبول الطاعات منه بشرط أنْ لا يكون حسن الظن بالله سببًا مؤديًا للمعصية والتهاون لأداء التكاليف. قال الإمام الرضا عليه السلام: أحسن الظن بالله، فإن الله عز وجل يقول : أنا عند ظن عبدي المؤمن بي، إنْ خيراً فخيراً، وإنْ شرًا فشرا. [3]

ب – الموانع الأخلاقية

إنّ الأخلاق الحسنة تلعب دورًا كبيرًا في التكامل الإنساني ، وكذلك للأخلاق السيئة موانع كثيرة أيضًا والتي تمنع التكامل المعنوي ومنها: الحسد، والجبن، والوسوسة، والظلم والتكبر؛ فالحسد حالة نفسية يتمنى صاحبها سلب الكمال والنعمة التي يتصورهما عند الآخرين سواء كان عنده مثلها أم لا، وسواء أرادها لنفسه أم لم يردها. والحسد هو من الأمراض والرذائل القلبية الخطيرة التي تمنع التكامل المعنوي الروحي منعًا كاملًا ، وهو حرام في الإسلام و يفسد عبادة الإنسان، ويسبب البغض من الناس والشقاء في الدنيا والآخرة.

قال سيد الساجدين عليه السلام:(أَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَيَجَانِ الْحِرْصِ، وَسَوْرَةِ الغَضَبِ وَغَلَبَةِ الْحَسَدِ. [4] و في مكان آخر قال عليه السلام أيضاً : أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَارْزُقْنِي سَلَامَةَ الصَّدْرِ مِنَ الْحَسَدِ حَتَّى لاَ أَحْسُدَ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِكَ ...) [5] وقد قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾[6]، وقد قال الإمام أمير المؤمنين علي بن

(١) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه ٧ في استكشاف الهموم،٢٩٦.
(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٤.
(٣) الكافي ، الكليني، محمد بن يعقوب، ٣/ ١٨٥.
(٤) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه ٧في الإستعاذة من المكاره،٧١.
(٥) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه ٧عند الشدَّة والجهد،١٢٨.
(٦) سورة النساء، الآية : ٥٤.

أبي طالب عليه السلام: ثمرة الحسد شقاء الدنيا والآخرة. [1]

الجبُن :

وأمّا الجُبن فهو أيضًا من الحواجز والموانع الأخلاقية التي تمنع الإنسان من الوصول إلى الإيمان الحقيقي بالله تعالى والتكامل الروحي ، و هو من الصفات الرذيلة التي تجعل الإنسان هاربًا من المسؤولية ، و متهربًا من كل شيء حتى من الخير، فلذا الأفضل للإنسان المسلم هو السعي إلى عدم الاتصاف به ؛ لأنّه لا ينبغي للمؤمن أنْ يكون جبانًا وفي حالة الإتصاف به ينبغي السعي للتخلص منه. قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: (اللهُمَّ ... وَأَعْفِهِ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَلْهِمْهُ الْجُرْأَةَ وارْزُقْهُ الشِّدَّةَ وَأَيِّدْهُ بِالنُّصْرَةِ)[2] ، والأشياء التي تسبب الجبن كثيرة منها: ضعف الإيمان ، وسوء الظن بالله، وضعف النفس أيضًا من أهم خصائص الإنسان الجبان، أنّه يرى نفسه عاجزًا عن مواجهة الصعاب والتحديات التي أمامه، قال أمير المؤمنين عليه السلام:(شدة الجبن من عجز النفس وضعف اليقين).[3] ومن الأسباب التي تسبب الجبن أيضًا الجهل وقلة المعرفة ، ومنها طلب الراحة والعافية البدنية.

الوسوسة :

والوسوسة أيضًا مشكلة نفسية أخرى و رذيلة أخلاقية كبيرة التي تفسد دنيا المرء، وآخرته عبر منعه من التكامل الروحي المعنوي وهي ضد اليقين ومُسبِّب التعاسة وسوء الحال ، ولما كانت الوسوسة شيء خطيرة بالنسبة إلى المسلم ، بيّن الإمام علي بن الحسين عليه السلام خطورتها وكيفية الإبتعاد والنجاة منها ؛ لئلا تسدَّ للمسلمين طريق التكامل المعنوي.

قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام:(اِلهي اَشْكُو اِلَيْكَ عَدُوّاً يُضِلُّني، وَشَيْطاناً يُغْويني، قَدْ مَلاَ بِالْوَسْواسِ صَدْري ... اِلهي اِلَيْكَ اَشْكُو قَلْباً قاسِياً مَعَ الْوَسْواسِ مُتَقَلِّباً، وَبِالرَّيْنِ

(١) عيون الحكم والمواعظ، ليثي واسطي، علي، ١، ٢٠٨.
(٢) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه ٧لأهل الثغور، ١٤٩.
(٣) منتخب ميزان الحكمة، محمد، ري شهري، ١، ص٢٣٣.

وَالطَّبْعِ مُتَلَبِّساً، وَعَيْناً عَنِ الْبُكاءِ مِنْ خَوْفِكَ جامِدَةً، وَ إِلى ما تسُرُّها طامِحَةً).[1] وتوجد في القرآن الكريم أيضًا شواهد في ذلك ومنها قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَهِ النَّاسِ ۝٣ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.[2]

الظلم :

والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه المختص به إمّا بنقصانٍ أو بزيادةٍ، وإما بعدولٍ عن وقته أو مكانه ، والظلم على عدة أنواع: النوع الأول : هو الشرك بالله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ .[3]

والنوع الثاني من الظلم : هو ظلم العبد لنفسه، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾.[4] والنوع الثالث من أنواع الظلم : هو ظلم العباد بعضهم لبعضٍ قال الله: ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[5] ، ويُعبرَ بالظلم أيضًا عن الجهل والفسق والشرك، كما يعبر أيضًا عن عدم النور وجمعها ظلمات ، وكلّ هذه الأنواع من الظلم يصدُّ طريق التكامل المعنوي للإنساني ، إنّ الذي يجعل الإنسان المسلم يبلغ إلى السموِّ النفسي والكمالات الإنسانية ، هو الإبتعاد عن الظلم لكونه من أعظم ما حرم الله تعالى على عباده، والظلم يسبب الحرمان و الفلاح في الدارين ويؤدِّي إلى سوء العاقبة ، وفقدان محبة الخالق والطرد من رحمته تعالى.

(١) الصحيفة السجادية الكاملة، مناجاة الشاكين،٣٣٣ – ٣٣٤ .
(٢) سورة الناس ، الآيات : ١ – ٦ .
(٣) سورة لقمان ، الآية : ١٣ .
(٤) سورة الطلاق ، الآية : ١ .
(٥) سورة الشورى ، الآية : ٤٢ .

التكبر:

إنّ التكبر من الموانع السلوكية التي تصدّ الإنسان في تكامله ، وهو حالة تدعو إلى الإعجاب بالنفس والتعاظم على الغير إمّا بالقول ، أو بالفعل ، وهو من أشدِّ وأخطر الأمراض الخلقية ؛ لأنّهُ صفة رذيلة للإنسان وهو يحول بينه وبين الوصول إلى الكمالات الحقيقية ، وهو على أنواع كما يلي: التكبر على الله تعالى، والتكبر على الأنبياء والرسل، ثم التكبر على بقية الناس وقال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (١)

وللتكبر أسباب و دوافع وهي كلها تعود إلى أنّ الإنسان المتكبر يتصوّر بذلك لنفسه كمالا، وهو يرى ويظنّ نفسه الأكمل والأفضل ، والأعظم من الناس والآخرين في مرتبة أدنى من مرتبته ، كالنظر إلى كثرة الأولاد والأحباء، أو من التعجب بالجمال والمال ، أو النظر إلى مكانه الإجتماعي وخصوصًا نفوذه السياسي ، ومن ذلك أيضًا الأمور الدينية حيث يرى نفسه عالمًا كبيرا أكبر من غيره ، أو عابدًا لا مثيل له ، وهناك أيضًا أسباب أخرى منها : الجهل وضعف العقل، ورؤية المتكبر ذلّة نفسه، والعجب، والحسد ، قال الإمام زين العابدين عليه السلام: وَلا تَبْتَلِيَنِّي بِالْكِبْرِ، وَعَبِّدْنِي لَكَ وَلاَ تُفْسِدْ عِبَادَتِي بِالْعُجْبِ. (٢)

ت – الموانع السلوكية

إن السّب، والفحش من الموانع والحواجز السلوكية التي تسدَّ للإنسان الطريق ، وتمنعه التكامل المعنوي الروحي.

١ – السّبّ :

والسبّ من الصفات السلوكية القبيحة التي تصدُّ طريق التكامل المعنوي للإنسان ، وتمنعه منعًا كاملًا للوصول إلى الكمال الروحي ، وهو من أقبح الجرائم الخلقية وأخطرها في حياة الفرد مع المجتمع ، و سبُّ المؤمن فسقٌ ، ولما كان السبُّ من أبشع الجرائم الإنسانية والظواهر الخلقية الرذيلة بشأن كل المؤمنين ، ومُفسدٌ للمجتمع، يأتي فيما يلي ذكر مقطع من

(١) سورة الزمر ، الآية : ٦٠.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه ٧في مكارم الأخلاق ومرضي الأفعال، ١١٠ – ١١١.

دعاء الإمام علي بن الحسين عليه السلام حيث وضّح لنا كيف ينبغي أن نتخلق في مثل ذلك ، قال الإمام زين العابدين عليه السلام:(أللَّهُمَّ اجْعَلْ ... أو اغْتِيَابِ مُؤْمِنٍ غَائِبٍ أَوْ سَبِّ حَاضِرٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ نُطْقاً بِالْحَمْدِ لَكَ وَإِغْرَاقاً فِي الثَّنَاءِ عَلَيْكَ، وَذَهَاباً فِي تَمْجِيدِكَ وَشُكْراً لِنِعْمَتِكَ وَاعْتِرَافاً بِإِحْسَانِكَ وَإِحْصَاءً لِمَنِّكَ). [1]

٢ – الفحش :

والفحش هو عبارة عمّا يقبح التصريح به، فهو نوع آخر من الأنواع التي تكون سببًا لسقوط المسلم وانهياره إلى أسفل درجات الجحيم ، و يمنعه من التكامل المعنوي، فالإنسان الفاحش هو شرُّ الناس، والجنة حَرام عَلَى كُلِّ فَحَّاش. قال الإمام زين العابدين عليه السلام: (أللَّهُمَّ ... وَمَا أَجْرَى عَلَى لِسَانِي مِنْ لَفْظَةِ فُحْش أَوْ هُجْر أَوْ شَتْمِ عِرْض أَوْ شَهَادَةِ بَاطِل ...)[2] قال الإمام علي عليه السلام: وَلاَ تَتَكَلَّمُوا بِالْفُحْشِ فَإِنَّهُ لاَ يَلِيقُ بِنَا و لا بِشِيعَتِنَا وَ إِنَّ الْفَاحِشَ لَا يَكُونُ صَدِيقاً. [3]

رابعًا: فوائد التكامل الإنساني :

لّما كان الإنسان مفطورًا على حبّ الكمال فهو في هذه الحياة باحث عنه للوصول إليه ؛ ليستفيد به في حياته الدنيوية والأخروية ؛ لأنّ للتكامل المعنوي فوائد جمة في الدارين وهي على قسمين هما: فوائد فردية وفوائد اجتماعية ، وكل منهما تلعب دورًا كبيرًا في التكامل المعنوي للإنسان، وهما كما يلي:

أ – الفوائد الفردية للتكامل الإنساني :

إنّ الفوائد الفردية للتكامل الإنساني عديدة منها : التقرب إلى الله تعالى، وتحقيق هدف الخلقة، والهدوء والراحة النفسية.

(١) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه في مكارم الأخلاق ومرضي الأفعال،١١٥.
(٢) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه في مكارم الأخلاق،١١٥.
(٣) مستدرک الوسائل و مستنبط المسائل، نوري ، ميرزا حسين، ١٢/ ٨٢.

التقرب إلى الله تعالى :

وهو أحد فوائد التكامل الإنساني و هو أعلى درجات التكامل المعنوي للإنسان، وأحسن ما يتقرب به المسلم إلى الله هو العقل، فالله تعالى يُدرَك بالعقل لا بالحسّ ، والشرط الأساسي الآخر للتقرب إلى المولى عزَّ وجلّ هو المعرفة الحقّة به تعالى ، لا الشكّ و لا بالوهم، وإنما بالعلم و اليقين ، و الإرتقاء في درجات القرب الإلهي ، ولنيل المقامات العالية عند الله يستلزم تزكية النفس والتفكر في الله ، والعبادة الصحيحة له والعمل الصالح وملازمة القرآن الكريم ، والأذكار وأدعية الأئمة المعصومين:. و القرب من الله ، لا يعني قرب المكان ولا قرب الزمان ؛ لأنّه تعالى فوق المكان والزمان، ولكن المراد به هو القرب المعنوي من الطاعة والعبودية والمحبة له سبحانه وتعالى ،. فقد قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾[1]، وكل من تقرب من الله سيتلذذ بالأمن والأمان الأبدي ، وينجو من العذاب الأبدي وسيحصل على الراحة النفسية وهدوء القلب، وسيجد حبّ الله تعالى.

تحقيق هدف الخلقة :

وإنّ من فوائد التكامل المعنوي الفردي تحقيق هدف الخلقة ؛ لأنّ كل عاقل يسعى في أعماله لتحقيق أهدافه، ولكل فعل حكيم هدف فكذلك الله خلق هذه المخلوقات، وأوجد جميع الموجودات لا لعبث ، وإنّما لغاية يريدها منها، إذن للخلقة غاية يجب تحقيقها ، والخلق لم يخلق سدى ولم يترك هملًا ، ولتحقيق هدف الخلقة فلابدّ للإنسان من التكليف ، والإبتلاء ليُعرف الذي حقق هدف خلقته من الذي لم يحقق، والخالق العظيم خلق الإنسان للتكامل المعنوي الروحي، وتحقّق ذلك كامنٌ في عبادة الله تعالى.

فالقرآن الكريم يبين هدف الخلقة في كثير من الآيات الذكر الحكيم ومنها قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ

(١) سورة الواقعة ، الآيتان : ٨٨ -٨٩.

يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [١]

الهدوء والراحة النفسية :

ومن فوائد التكامل المعنوي الروحي للإنسان المسلم الهدوء والراحة النفسية ، ويحصل ذلك في التقرب إلى الله عزَّ وجلَّ، لأنّ كل الخير كامن في التقرُّب من الله العزيز الغفور، ففي القُرب منه تعالى راحةٌ للإنسان. و قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[٢] ، وقد قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام:(أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد ... حَتَّى أَتَعَرَّفَ مِنْ نَفْسِي رَوْحَ الرِّضَا وَطُمَأنِينَةَ النَّفْسِ مِنِّي بِمَا يَحْدُثُ لَكَ فِيمَا يَحْدُثُ فِي حَالِ الْخَوْفِ وَالاَمْنِ، وَالرِّضَا وَالسُّخْطِ، وَالضَّرِّ وَالنَّفْعِ).[٣] و إنّ من الأمور التي تساعد المرء للحصول على الراحة النفسية و هدوئها واستقرارها ، الإيمان بالله تعالى، وأداء الفرائض بشكل صحيحٍ، والإبتعاد عن نواهيه ، ثم الإعتذار وطلب العفو من الآخرين، والإبتعاد عن البغض و الحسد و الكذب والنميمة ، ثم التجنّب من الصفات السلبية التي تمنع التكامل المعنوي و تسبب الإضطراب النفسي.

ب – الفوائد الإجتماعية للتكامل الإنساني :

إنّ فوائد التكامل للمجتمع الإنساني و آثارها عديدة ومتنوعة، و الإنسان كائن حيٌّ يعيش في ظل المجتمع المتكون من العديد من الأفراد الذين تجمع بينهم علاقات متنوعة، ومن الطبيعي والمعقول أنّه لا يستطيع أحد من الناس أنْ يعيش بمعزل عن أفراد المجتمع، وقد أمر الله سبحانه وتعالى الإنسان أنْ يساعد الآخرين لقضاء حوائجهم الشخصية وخاصة الذين يتعرضون للصعوبات والمشاكل في حياتهم.

قال الإمام السجاد عليه السلام:(أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ ... وَأَكْمِلْ ذَلِكَ لِي بِدَوَامِ الطَّاعَةِ وَلُزُومِ الْجَمَاعَةِ وَرَفْضِ أَهْلِ الْبِدَعِ وَمُسْتَعْمِلِ الرَّأي الْمُخْتَرَع).[٤] و من فوائد تكامل المجتمع

(١) سورة الذاريات ، الآيات : ٥٥ – ٥٨.
(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٨٢.
(٣) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه عليه السلام عند الشدة والجهد وتعسر الأمور،١٢٨.
(٤) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه ٧في مكارم الأخلا ق ومرضي الأفعال ،١١٣ – ١١٤.

الإنساني و آثارها ما يلي:

١ – الأمن الإجتماعي :

و هو من أهم و أفضل فوائد التكامل الإجتماعي ، و هو مجموعة القوانين و التدابير التي يقوم بها الإنسان لحفظ جميع ممتلكاته ، و لقوة الأمن الإجتماعي عناصر أساسية لا بدّ من توفّرها ، وهي : العبادة، و العدالة، و المساوات ، وعدم توفرها يضعف الأمن الإجتماعي.

والأمن الإجتماعي يكون غالبًا نتيجة لتكامل الإنسان روحيًا وعقليًا وناتجة من وضع جميع الإمكانات التي تحقق لجميع أفراد المجتمع الشعور بالأمن الإجتماعي ، وعدم الخوف في الحاضر والمستقبل ؛ لحفظ نفسه و دينه و ماله و عرضه ، ويحقق له مكانته في المجتمع؛ وليتحقق له المشاركة الايجابية في المجتمع ، فالأمن يؤدي إلى الإطمئنان والسكينة والثقة والتكافل الإجتماعي ، وله الكثير من الفوائد العظيمة والخصال الحميدة ، والإيجابيات المثمرة في دنيا المرء وفي آخرته ، و من أهم إيجابيات الأمن الإجتماعي أنّها تجعل كل فرد من أفراد المجتمع يشعر أنّه عضو مهمّ ونافع للمجتع، لا يُتوقع منه إلّا الإحسان والفضل ؛ ولذا يسعى إلى خدمة الآخرين في كل حياته بالنية الصادقة وبالقلب العامر بالمحبة والمودة للمجتمع.

قال الإمام السجاد عليه السلام:(أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ ... وَامْنَعْنِي عَنْ أَذَى كُلِّ مُؤْمِن وَمُؤْمِنَة وَمُسْلِم وَمُسْلِمَة، أَللَّهُمَّ وَأَيُّمَا عَبْد نالَ مِنِّي مَا حَظَرْتَ عَلَيْهِ، وَانْتَهَكَ مِنِّي مَا حَجَرْتَ عَلَيْهِ، فَمَضَى بِظُلاَمَتِي مَيِّتاً، أَوْ حَصَلْتَ لِيْ قِبَلَهُ حَيّاً، فَاغْفِرْ لَهُ مَا أَلَمَّ بِهِ مِنِّي، وَاعْفُ لَهُ عَمَّا أَدْبَرَ بِهِ عَنِّي، وَلاَ تَقِفْهُ عَلَى مَا ارْتَكَبَ فِيَّ، وَلاَ تَكْشِفْهُ عَمَّا اكْتَسَبَ بِيْ، وَاجْعَلْ مَا سَمَحْتُ بِهِ مِنَ الْعَفْوِ عَنْهُمْ وَتَبَرَّعْتُ بِهِ مِنَ الصَّدَقَةِ عَلَيْهِمْ أَزْكَى صَدَقَاتِ الْمُتَصَدِّقِينَ وَأَعْلَى صِلاَتِ الْمُتَقَرِّبِينَ، وَعَوِّضْنِي مِنْ عَفْوِي عَنْهُمْ عَفْوَكَ وَمِنْ دُعَائِي لَهُمْ رَحْمَتَكَ حَتَّى يَسْعَدَ كُلُّ وَاحِد مِنَّا بِفَضْلِكَ وَيَنْجُوَ كُلٌّ مِنَّا بِمَنِّكَ). [1]

(١) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه ٧في طلب العفو و الرحمة،١٩٣ – ١٩٤.

٢- العدالة الإجتماعية :

وهي النظام الساعي ليتم عبره تحقيق المساواة بين أفراد المجتمع، وهي إحدى فوائد التكامل الإنساني ، وحينما يسود القانون الإلهي تطمئن النفوس وتهدأ من خوف الظلم ، ويشعر أفراد المجتمع أنّهم في مأمن من أي معتد متجاوز على الغير، والعدالة الإجتماعية تقوم على عناصر منها : المحبة، وتحقيق الكرامة الإنسانية للجميع، ونشر المساواة وعدم التمييز، والتضامن بين أفراد المجتمع، والتوزيع العادل للموارد والأعباء، والضمان الإجتماعي، وتوفير السلع العامة ، وتوجد مجموعة من الموانع التي تمنع العدالة الإجتماعية وتسدُّ أبواب التكامل المعنوي منها: عدم الحرية ، وانتشار الظلم والفساد في المجتمع ، وعدم المساواة في توزيع المنافع والحقوق بين الأفراد ، وتوزيع فرص العمل والتعليم وخدمات الضمان الإجتماعي ، وغير ذلك على أساس العنصرية والقبلية. قال الإمام زين العابدين عليه السلام:(أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ ... وَأَلْبِسْنِي زِينَةَ الْمُتَّقِينَ فِيْ بَسْطِ الْعَدْلِ وَكَظْمِ الْغَيْظِ وَإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ وَضَمِّ أَهْلِ الْفُرْقَةِ وَإِصْلاَحِ ذَاتِ الْبَيْنِ). (١)

٣- تحسين العلاقة الإجتماعية

إنّ من فوائد التكامل المعنوي الإجتماعي ، تحسين العلاقة الإجتماعية ، والعلاقات الموجودة بين الناس هي : إمّا علاقة إيجابية ، أو علاقة سلبية ، وهي تختلف في شكلها فقد تكون مؤقتة محدودة ، وقد تكون طويلة الأجل ، وتحسينها ؛ لتكون سببا للتكامل المعنوي للإنسان تكون من مساعدة الناس سواء كانوا أقرباء ، أو جيران أو غير ذلك ، فكل مجتمع تحقق ذلك بين الأفراد سيتحتم كون المجتمع مجتمعًا قويّا يستحيل انفكاكه وانهياره، وبهذا يصل ذلك المجتمع إلى التكامل المعنوي ، وقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: (اللَّهُم ... وَعَوِّضْنِي مِنْ عَفْوِي عَنْهُمْ عَفْوَكَ وَمِنْ دُعَائِي لَهُمْ رَحْمَتَكَ حَتَّى يَسْعَدَ كُلُّ وَاحِد مِنَّا بِفَضْلِكَ وَيَنْجُوَكُلُّ مِنَّا بِمَنِّكَ). (٢)

(١) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه٧في مكارم الأخلاق ومرضي الأفعال،١١٣.
(٢) الصحيفة السجادية الكاملة، دعاؤه ٧في طلب العفو،١٩٤.

٤- الأخوة والتعاون الإجتماعي

إنّهما من الفوائد المهمة للتكامل المعنوي الإجتماعي و يلعبان دورًا كبيرًا لتحقق السعادة البشرية ، وللأخوة أقسام ثلاثة هي: الأخوة بالنسب، والأخوة بالرضاعة ، والأخوة بالدين، قال النبي الأعظم ﷺ:(النظر إلى الأخ الذي تودّه في الله عز وجل عبادة)[١] والتعاون الإجتماعي هو من أهم العناصر التي تسهم في التكامل المعنوي للمجتمع الإنساني، والمقصود به مشاركة جميع أفراد المجتمع في المحافظة على مصالحه العامة والخاصة، ودفع المفاسد والأضرار المادية والمعنوية ، وإيصال المنافع إلى الناس ، فالتكافل الإجتماعي في الإسلام ليس خاصّا بالمسلمين فحسب، بل يشمل جميع الناس على اختلاف مللهم واعتقاداتهم داخل المجتمع الإسلامي، إلّا أنّ الأفضل والأحسن هو المجتمع الإسلامي. قال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَالله يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ الله لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٢]

عن أبي عبد الله عليه السلام قال:(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يخونه ، ويحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاون على التعاطف ، والمواساة لأهل الحاجة وتعاطف بعضهم على بعض حتى تكونوا كما أمركم الله عز وجل رحماء بينكم متراحمين مغتمين لما غاب عنكم من أمرهم على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله ﷺ .)[٣]

الخاتمة

ومن النتائج المهمة لهذه المقالة هي أنّ الإنسان موجود مركب من بعدين هما : البدن ، والروح وهو موجود عاقل ومفطورٌ على حب الكمال، وهو يسعى دائمًا في جميع حياته إلى طلبته، ولكن يطلبه كل شخص حسب فهمه له ، والدنيا هي الأساس و الميدان للتكامل المعنوي لكل من يروم الوصول إلى القرب الإلهي ، والإمام السجاد عليه السلام بذل جهدًا كبيرًا لإصلاح الأمة ، فاتخذ أسلوب الدعاء لتحقيق ذلك. والإمام عليه السلام في صحيفته السجادية

(١) بحار الأنوار ، مجلسي ، محمد باقر ، ج٧١/ ٧٤.
(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٢٠.
(٣) موسوعة أحاديث أهل البيت ، النجفي ، الشيخ هادي ، ٢ / ١٨١.

المباركة ذكر لنا، وقدّم إلى كل مسلم مبادئ وطرق التكامل المعنوي ، وأنواع المعارف الإلهية التي لابدّ منها للوصول إلى الكمال الروحي.

وكل من التزم بقراءة أدعية الإمام السجاد﵇في كتابي الصحيفة السجادية الكاملة والجامعة، وكذلك تمسك بآثار جميع أئمة أهل بيت النبوة : سيخطو على الدوام نحو التكامل الروحي بالأمن من الزلل وعدم الخرومن الجادة.

وللسير والسلوك نحو التكامل الروحي المعنوي حواجز وموانع، والإمام﵇بيّن تلك الحواجز والموانع التي تسدّ طريق تكامل الإنسان بلسان الدعاء في صحيفته السجادية المسماة أيضًا بزبور آل محمد: ،ثم في الختام هناك فوائد جمة للتكامل المعنوي الروحي للإنسان من الدنيا أوّلاً ، ثم في الآخرة ثانيًا ، وبهذا العرض تتم كتابة هذه المقالة، مع الرجاء من المولى القبول و أنْ ينال إعجابكم، وأنْ يجعلنا ممَّن عَلموا فعملوا، واستفادوا.

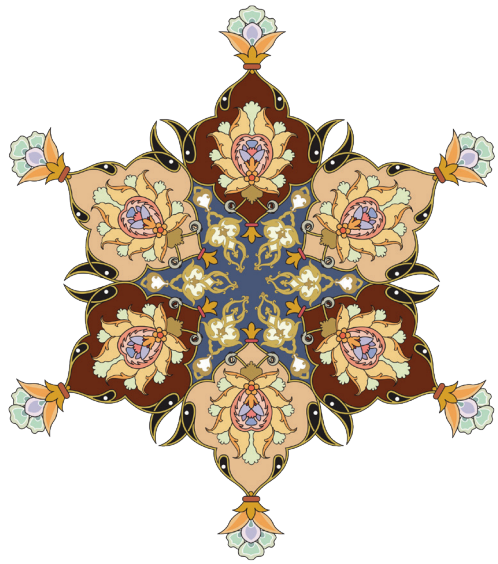

المصادر و المراجع

١. القرآن الكريم.

٢. أمالي الطوسي ، طوسي ، محمد بن حسن، دار الثقافة ، ١٤١٤ق ، الأولى.

٣. بحار الأنوار ، مجلسي ، محمد باقر ، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان، ١، عربي.

٤. تنبيه الخواطر و نزهة النواظر، حلي ، ورام بن فراس ، مكتبة الفقيه قم.

٥. الصحيفة السجادية الكاملة، زين العابدين، علي بن الحسين، غالب عسيلي، الخامسة، دار التعارف للمطبوعات، مؤسسة التربية الاسلامية، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

٦. عيون أخبار الرضا ، شيخ صدوق، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ١٤٠٤ق.

٧. عيون الحكم والمواعظ، ليثي واسطي ، علي، مؤسسه علمى فرهنگى دار الحديث، ١٣٧٦ ش، الأولى.

٨. غرر الحكم ودرر الكلم ، الآمدي ، أبو الفتح ، مطبعة العرفان صيدا ، ١٣٤ .

٩. الكافي ، الكليني، محمد بن يعقوب، كتاب مؤسسه علمي فرهنگي دار الحديث، سازمان چاب ونشر، قم – ايران ١ – ١٣٨٧ .

١٠. كنز الأخيار في ذكر الصلاة على محمد وآله الأطهار ، عبد الله، دار المجتبى، ١٤٢٨ هـ ، الأولى.

١١. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي ، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٩ق.

١٢. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، بيروت، دار صادر، ط ٣، ١٤١٤ هـ.

١٣. المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية و الفرنسية و الإنكليزية و اللاتينية، جميل، صليبا، الشركة العالمية للكتاب بيروت، ١٤١٤ ق ، الأولى.

١٤. المفردات في غريب القرآن، راغب اصفهاني ، أبي القاسم الحسين ، مؤسسه فرهنكي آرايد، ١٣٨٧، الأولى.

١٥. مجمع البيان، طبرسي، فضل بن حسن، دار المعرفة بيروت لبنان، ١٤٠٦ق .

١٦. مستدرك الوسائل و مستنبط المسائل ، نوري ، حسين، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ،بيروت – لبنان، ١٤٠٨ هـ.ق. الأولى.

١٧. معجم المصطلحات الكلامية ، رفاعة ، إبراهيم ، مجمع البحوث الإسلامية ، ١٤٣٦ق، الثانية.

١٨. معجم الوسيط، مصطفى ، إبراهيم، دار الدعوة، استانبول تركيه،١ – ١٩٨٩ .

١٩. منتخب ميزان الحكمة، ري شهري ، محمد، مؤسسه علمي فرهنگى دار الحديث، سازمان چاب ونشر ، قم – ايران ١٣٨٨ هـ ش ، ١، ص٢٣٣).

٢٠. موسوعة أحاديث أهل البيت ، النجفي ، الشيخ هادي ، دار إحياء التراث العربي،١٤٢٣ هـ ، الأولى.

٢١. ينابيع المودّة ، قندوزي، سليمان بن إبراهيم، قم – إيران.

وقل رب زدني علما